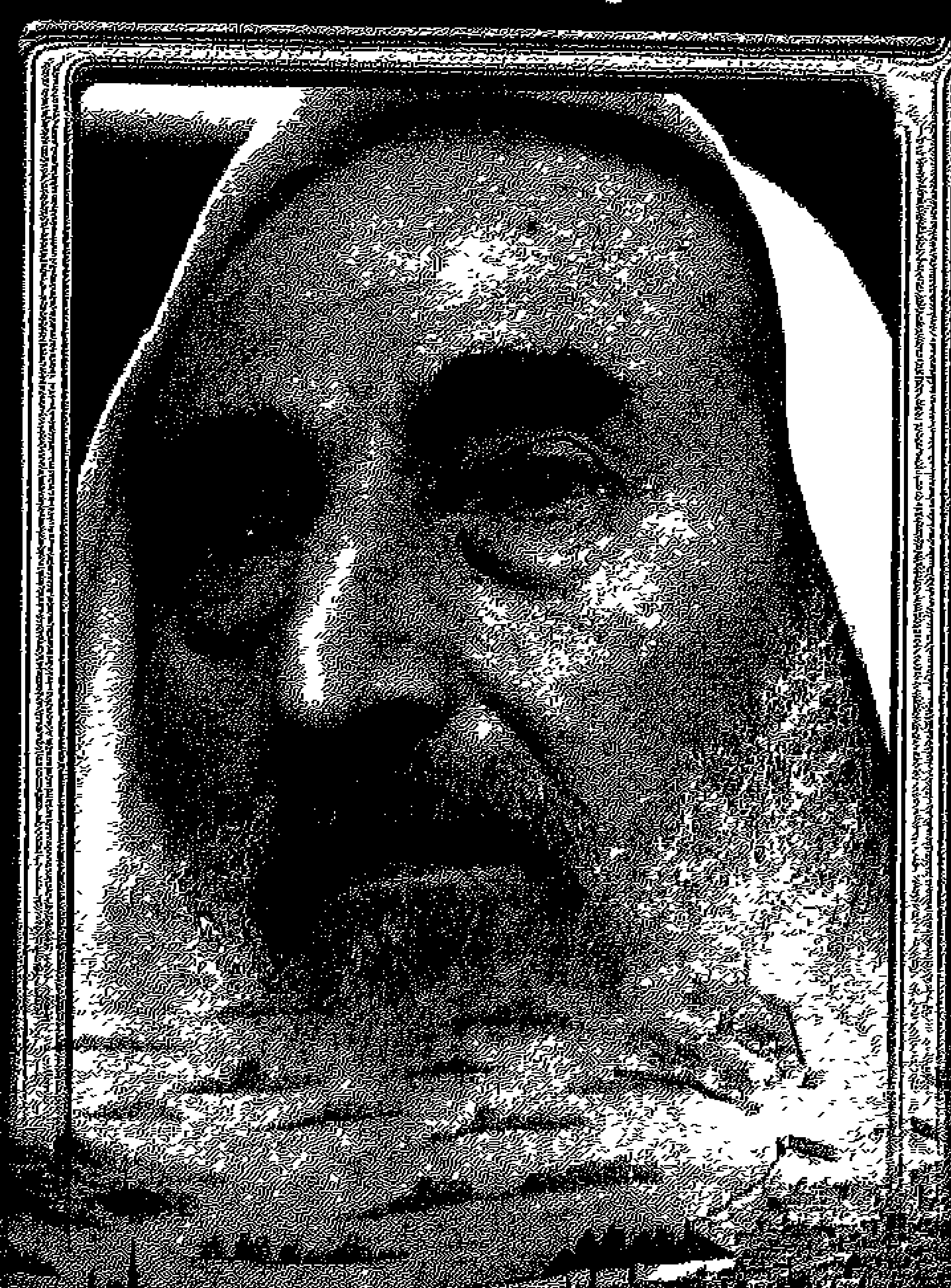


الشيخ أحمد ياسين

مجدداً



سامي الصلاحات

إهـــــــــداء ٢٠٠٦

مركز الإعلام العربي

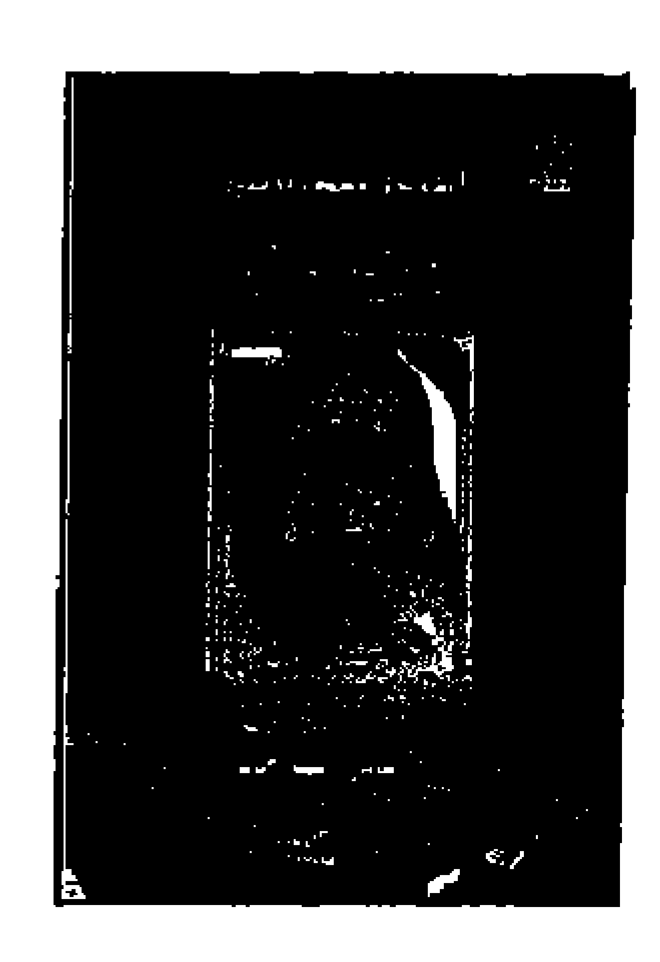
القاهرة



الشيخ أحمد ياسين



سامي الصلاحات



• الكتاب:
الشيخ أحمد ياسين.. مجدداً
• تأليف:
سامي الصلاحات
• السلسلة:
فلسطين.. مواقف وآراء
• قياس الصفحة:
17×12
• رقم الإيداع:
٥٥٨٢/٢٠٠٥
• الترقيم الدولي:
977-367-091-0

مركز الإعلام العربي
ص. ب ٩٣ الهرم ـ الجيزة ـ مصر
• هاتف: (00202)3844422/3833361
• التوزيع: (00202) 7445455
• فاكس: (00202) 3851751
• الموقع على شبكة الإنترنت:
www Resalah4u.net
• البريد الإليكتروني:
E .Mail:media-c@ ie-eg.com



الغلاف
إبراهيم نور



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾.

هؤلاء الرجال الصادقون هم عدة الأمة للنصر، ووقود التحرير، فهم يقدمون فكرهم ودماءهم لخدمة قضايا أمتهم، والذود عن مقدساتها، وتأكيد هويتها وخصوصيتها العقيدية والحضارية، وهؤلاء وإن رحلوا عن عالمنا ورجعوا إلى ربهم راضين مطمئنين، فإن ذكراهم باقية بقاء عطائهم فى تجديد فكر الأمة، وترشيد حركتها نحو الحرية والاستقلال والسيادة.

وشيخ المجاهدين، شهيد فلسطين، الشيخ أحمد ياسين واحد من هؤلاء المجددين المجاهدين الذين قهروا عجز البدن بقوة الإرادة وصلابة العزم، وأعادوا الصراع الفلسطينى الصهيونى إلى مرجعيته الإسلامية كصراع عقيدة، وفجروا بأجسادهم النحيلة قنابل الغضب فى

أحفاد القردة والخنازير، ونسفوا نظرية الأمن الصهيونى، فصدق ما عاهد الله عليه، فصدقه الله بالفوز بالشهادة.

ومركز الإعلام العربى إذ يحيى جهاد هذا الشيخ الكريم فى مواقفه الثابتة تجاه القضية الفلسطينية، ورفض السيادة الصهيونية على القدس الشريف، والإصرار على المقاومة لا التسوية سبيلاً للتحرير واستعادة الحقوق المغصوبة.

يقدم هذا الكتاب ضمن سلسلة (فلسطين.. آراء ومواقف) مؤكداً حتمية هزيمة المشروع الصهيونى على أرضية أسلمة الصراع، ووجوب الجهاد من أجل تحرير كل شبر من أرض فلسطين، واستعادة حقوق الشعب الفلسطينى وسيادته على كامل ترابه الوطنى.

مركز الإعلام العربى

مقدمة الكتاب

مثّل الشيخ أحمد ياسين (١٩٣٦ - ٢٠٠٤) محطة بارزة ومهمة فى الصراع العربى - الإسرائيلى الممتد لأكثر من (٥٦) عامًا، لا باعتباره مؤسس أكبر حركة إسلامية جهادية فاعلة على نطاق الشرق الأوسط أو الوطن العربى، من حيث ضخامة العبء الملقى على عاتقها، وقدرتها الكبيرة على امتصاص أغلب الضربات من العدو، وإدارة دفة الصراع معه، كما لم ينحصر دوره فى شخصيته المميزة «كاريزما» وقدرته الجذابة فى تجميع الناس من حوله، والإحاطة به لقربه منهم ومن مشاكلهم، بل فوق هذا كله دوره الأساس فى أسلمة الصراع مع العدو الصهيونى، وإبراز الدور الدينى من جديد بعد عقود متتالية تسلم بها العلمانيون واليساريون والقوميون راية الصراع مع العدو، ويا ليتهم أحسنوا فعلاً، بالرغم من التضحيات الهائلة التى قدمها الشعب الفلسطينى تحت تلك الرايات الدخيلة.

ولن أتكلم هنا عن الشيخ من خلال البعد العاطفى والوجدانى، وتأثرًا بحادثة الاغتيال وتداعياتها التى شغلت الرأى العالمى لعدة أيام متتالية، ولكن من خلال أرض الواقع والتغييرات التى أحدثها على أرض الإسراء والمعراج، وأثر ذلك على وحدة الصف المقاوم والمجاهد للعدو، وإبقاءً للروح الحية فى الأمة.

فهو إنسان معجزة يتحرك على كرسى من الحديد، رأسه هو الجزء الوحيد الذى لم يتسلل إليه الشلل، وهو كل ما تبقى له، لقد أنار الشيخ بحياته المعطاءة وبشهادته الجليلة مناطق مظلمة فى حياة الأمة تبين معالم الطريق فى حقبة تاريخية مظلمة.

وهو ما أكده النبى (ﷺ) على بعث المجددين فى كل عصر وزمان يعلو فيه الباطل ويطفو، والمجددون فى هذه الأمة يأتون الواحد تلو الآخر، فى مناحى الحياة المتعددة، ولعل - على ما أظن ويغلب على الفكر - هذا الشيخ المقعد، ولعل تجديده كان فى حفز الهمم وصقل الإرادات المتعبة، وأسلمة الصراع مع اليهود فى ظل تكالب الأعداء من كل حدب وصوب فى ضرب مقومات هذه الأمة.

والغريب فيه - ولله فى خلقه شئون - إعاقته الجسدية المصاحبة له، فعلى مدار التاريخ الإسلامى لم يبرز لنا إلا مجددون من الطراز القادر على التحرك والتحكم بجسده على الأقل، أما أن يأتى شيخ مقعد ليقود أكبر تيار ذى توجه إسلامى فى مقارعة أعتى أعداء الإسلام والإنسانية، فهذا بذاته إشارة ربانية لمن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وليؤكد على دور الإيمان فى تقوية العزائم المثبطة وتحفيز النفوس، وصدق من قال:

وإذا كانت النفوس كِبارًا   تعِبت فى مُرادِها الأجسامُ

ومن عظمة الشيخ أنه صنع روحًا جديدة فى الأمة، وجيلاً عازمًا على تحريرها من تسلط أعدائها، ولعل التداعيات التى صاحبت

عملية استشهاده (رحمه الله) لخير دليل على ذلك.

إن التجديد الذى جاء به الشيخ أحمد ياسين فى عصرنا، هو إظهاره عزم الإيمان فى النفوس، وتحفيز هموم المسلمين بعد سنوات طويلة من التثبيط والارتخاء فى أحضان العدو، والتسليم بالقدر السلبى، وكأنهم ملكونا وملكوا إرادتنا وعزائمنا.

وكلنا شاهد تلك المسيرات الملايينية التى خرجت فى مشارق الأرض ومغاربها، فى الدول العربية والإسلامية، وأماكن تجمع المسلمين والأحرار فى العالم، لقد فعل الشيخ ما لم تفعله الجيوش الجرارة، فى تحريك الشعوب الكارهة للظلم والتسلط، لعل فى ذلك إشارة ربانية، إلى أن مقعدًا حرك ملايين المعاقين فى أبدانهم، لقد مثل استشهاده حياة أخرى فى أرواح مليار وربع المليار مسلم فى العالم.


توطئة
فى مفهوم
"التجديد" فى الدين

جاء فى الحديث الشريف فى بعث المجددين فى كل عصر وزمان، الذى رواه أبو علقمة عن أبى هريرة أنه قال: فيما أعلم عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة، من يجدد لها أمر دينها»[١].

ظاهر الحديث أن هناك وعدًا من الله (عز وجل) فى بعث المجددين فى كل قرن يكون الإسلام فيه بحاجة إلى من يجدد صبغته وتكيفه مع الواقع المعيش.

والمجددون فى هذه الأمة يأتون الواحد تلو الآخر، فى مناحى الحياة المتعددة، فقد بعث الله سبحانه وتعالى - على حسب الكثير من أهل العلم - على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ)، وبعث على رأس المائتين محمد بن إدريس الشافعى، وأنشد بعضهم يقول[٢]:

اثنان قد مضيا وبورك فيهما ... عمر الخليفة ثم خلف السؤدد

الشافعى الأبطحى محمد إرث ... النبوة وابن عم محمد

---

(١) ابو داود الأزدى، سنن أبى داود، (بيروت: دار الحديث، ط١، ١٩٧٣)، كتاب الملاحم والفتن، ج٤، باب ما يذكر فى قرن المائة، رقم الحديث (٤٢٩١)، أما رواية النيسابورى، فهى: «إن الله يبعث إلى هذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»، انظر: النيسابورى، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: يوسف المرعشلى، (بيروت: دار المعرفة، ط.ت)، ٥٢٣/٤، كتاب الملاحم والفتن.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: مجموعة من المحققين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣، ١٩٨٧)، ٢٦٤/١٠.

فالظاهر أن التجديد يكون فى تفاعل Interaction الدين مع المشكل والواقع، فعمر بن عبد العزيز أعاد للحكم السياسى فى الإسلام دوره الريادى والحضارى، بعد الأزمات السياسية والوراثية الذى عاشتها الأمة بعد استشهاد الخليفة الرابع، على بن أبى طالب ٤٠هـ، وانقسام الأمة إلى سُنة وشيعة وخوارج، أما الشافعى فبرز فى تجلية أحكام الدين وأصوله فى كتابه الرسالة، من خلال منهجه المحكم لعلم الأصول، بعد افتراق المدرستين الكبيرتين فى الفقه وأصول الاستنباط، وهما الحنفية والمالكية، وبداية عهد الطعن فى السُنة، ومحاولة البعض إلغاء حجيتها(١).

من هنا نستطيع أن نوضح طبيعة التجديد والمجدد، وهو أن:

١ - التجديد لا ينحصر فى عمل أو مجال معين من مجالات الحياة، بل قد يكون عامًا وشاملاً لكافة المجالات، فقد لا يقتصر على السياسة أو الاقتصاد، أو العلم الشرعى، وغير ذلك من مجالات الحياة ومتطلباتها، وهذا من رفق الله (عز وجل) بعباده الصالحين، أن كلفهم بما يستطيعون، وليبدعوا فيما يستطيعون؛ لأن قيمة المرء فيما يُحسن(٢).

فالمجدد يجدد عنصر الدين فى أى مجال من مجالات الحياة، سواءً أكانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو علمية أو ثقافية

---

(١) انظر: عبد الوهاب أبو سليمان، منهجية الشافعى فى الفقه وأصوله، (بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٩).

(٢) قارن مع: محسن عبد الحميد: تجديد الفكر الإسلامى، (دار الصحوة للنشر، ط. ت)، ص ٧٤.

وغير ذلك، فقد كان سالفًا تجديد علم الكلام على يد أبى الحسن الأشعرى، وتنزيه العقيدة ومفاهيمها على يد محمد ابن عبدالوهاب، وتجديد فهم طبيعة الإسلام كمنهج حياة على يد حسن البنا وغيرهم الكثير، وهذا ما ذكره ابن كثير ٧٤٨هـ، إذ يقول: «وقد ادعى كل قوم فى إمامهم أنه المراد بهذا الحديث، والظاهر والله أعلم أنه يعم جملة أهل العلم من كل طائفة، وكل صنف من أصناف العلماء، من مفسرين ومحدثين وفقهاء ونحاة ولغويين إلى غير ذلك من الأصناف والله أعلم»(١).

٢ - والمجدد قد يتعدد فى العصر الواحد، نظرًا لوجود سبب تجدده، وأغلب الظن أن لا تعارض فى بعث المجدد فى أمر، وأن يكون هناك مجددًا آخر فى أمرٍ آخر، ما دام الأمر يتسع لهذا والحاجة تؤيده.

ولعل فى كلام العلامة ابن حجر العسقلانى ٨٥٢هـ ما يشير إلى هذا بجلاء ووضوح، إذ يقول (رحمه الله): ما حمل عليه بعض الأئمة حديث: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»، أنه لا يلزم أن يكون فى رأس كل مائة سنة واحدة فقط، بل يكون الأمر فيه كما ذكر فى الطائفة وهو متجه، فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر فى نوع من أنواع الخير، ولا يلزم أن تجتمع خصال الخير كلها فى شخص واحد، إلا أن يدعى ذلك فى عمر بن عبد العزيز، فإنه كان القائم

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية.

بالأمر على رأس المائة الأولى باتصافه بجميع صفات الخير وتقدمه فيها، ومن ثم أطلق أحمد أنهم كانوا يحملون الحديث عليه، وأما من جاء بعده فالشافعى وإن كان متصفًا بالصفات الجميلة، إلا أنه لم يكن القائم بأمر الجهاد والحكم بالعدل، فعلى هذا كل من كان متصفًا بشىء من ذلك عند رأس المائة هو المراد، سواء تعدد أم لا»(1).

لهذا، يأتى المجدد فى زمن وعصر يكون الدين بحاجة حقيقية لمن يقود أمر التجديد فيه، وهذا من رحمة الله وعنايته بهذه الأمة أنه يبعث لها عند دروس السنة وظهور البدعة من يجدد لها دينها، ولا يزال يغرس فى دينه غرسًا يستعملهم فيه علمًا وعملاً.

وهذا ما أكد عليه العلامة ابن القيم ٧٥١هـ، عندما تناول أقسام المفتين، فتناول أولهم، وهو على حد تعبيره: «أحدهم العالم بكتاب الله وسُنة رسوله وأقوال الصحابة، فهو المجتهد فى أحكام النوازل، يقصد فيها موافقة الأدلة الشرعية حيث كانت، فهذا النوع الذى يسوغ لهم الإفتاء، ويسوغ استفتاؤهم ويتأدى بهم فرض الاجتهاد، وهم الذين قال فيهم النبى (ﷺ): «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها، وهم غرس الله الذين لا يزال يغرسهم فى دينه، وهم الذين قال فيهم على بن أبى

---

(1) انظر: ابن حجر العسقلانى، فتح البارى بشرح صحيح البخارى، (القاهرة: دار الحديث، ط٣، ١٤٠٧هـ)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبى (ﷺ): لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق، وهم أهل العلم. ٣٠٨/١٣.

طالب كرم الله وجهه: لن تخلو الأرض من قائم لله بحجته»[1].

وبدقيق العبارة، كل هؤلاء المجددين كانت لهم اليد الظاهرة فى محاربة ومقاتلة أعداء الله، كل حسب تخصصه ومجاله، وكلهم ما نال شرف التجديد فى الدين بعدما كانت لهم مفاصلة ومنازلة مع من أراد لهذا الدين السوء، ولهذا لم يكن عجبًا أن «جميع المجددين والمفكرين الإسلاميين حددوا موقفهم من القوى الاستعمارية المتنوعة الطاغية القائمة فى هذا العالم، بمحاربتها وإعلان الجهاد العام الشامل عليها؛ لأنه لا يسع المسلمين فى دينهم إلا أن يعيشوا أحرارًا يملكون زمام أنفسهم..»[2]، وفى عصرنا الحاضر، هناك العديد من المميزات التى برع فيها شيخ الانتفاضتين، المجاهد المقعد، والشهيد الحى الشيخ أحمد ياسين لعلنا نتناولها فى مطلب ملامح منهجه الإصلاحى والتغييرى، لكن من أبرز ما اتصف به الشيخ وجدد فيه، هو جهوده فى أسلمة الصراع مع العدو الصهيونى، وبناء المؤسسات الإسلامية تحت الاحتلال، وتنظيره المحكم لآليات الصراع مع العدو، وهذا ما سنراه لاحقًا.

---

(١) ابن القيم، أعلام الموقعين عن رب العالمين، (بيروت: دار الجيل، ط.ت)، ٢١٢/٤.

(٢) محسن عبد الحميد: تجديد الفكر الإسلامى، ص ١٠١ .



المبحث الأول

مولد الشيخ ونشأته: وأخلاقه وصفاته

سنقسم هذا المبحث إلى قسمين، الأول يتناول مولد الشيخ ونشأته، والثانى عن أخلاقه وصفاته، لا سيما فيما ذكره الشيخ عن نفسه وسيرته.

أ - المولد والنشأة:

ولد الشيخ الشهيد والقائد المربى أبو محمد أحمد ابن إسماعيل الياسين عام ١٩٣٦م فى قرية الجورة، قضاء المجدل جنوبى قطاع غزة بفلسطين، ومات والده وعمره لم يتجاوز ثلاث سنوات، وكنى الشهيد فى طفولته بـ" أحمد سعدة" نسبة إلى أمه الفاضلة السيدة سعدة عبد الله الهبيل لتمييزه عن أقرانه الكثر من عائلة ياسين الذين يحملون اسم أحمد(١).

التحق بمدرسة «الجورة» الابتدائية، وواصل الدراسة بها حتى الصف الخامس حتى النكبة التى ألمت بفلسطين عام ١٩٤٨م.

وقد لجأ مع أسرته إلى القطاع بعد حرب العام ١٩٤٨، وهاجرت أسرته إلى غزة، مع عشرات آلاف الأسر التى طردتها العصابات الصهيونية.

ويرى الشيخ أن للنكبة دروسًا وآثارًا فى حياته الفكرية والسياسية فيما بعد، من أبرزها أن الاعتماد على سواعد

---

(١) لمزيد من التوسع، انظر: الشيخ أحمد ياسين وهو يذكر سيرة حياته، برنامج شاهد على العصر، (أبريل ١٩٩٧)، نقلاً عن موقع الجزيرة، www.aljazeera.net، (موقع المركز الفلسطينى للإعلام، انظر: www.palestine-info.net).

المجاهدين أنفسهم أجدى من الاعتماد على الغير، سواء أكان هذا الغير أنظمة الدول العربية المجاورة أم المجتمع الدولى، لاعتبار أن الجيوش العربية التى جاءت تحارب الكيان الصهيونى نزعت السلاح من أيدى المجاهدين، بدعوى أنه لا ينبغى وجود قوة أخرى غير قوة الجيوش، فارتبط المصير بها، ولما هُزمت هزمنا، وراحت العصابات الصهيونية ترتكب المجازر والمذابح لترويع الآمنين، ولو كانت أسلحتنا بأيدينا - كما يرى الشيخ - لتغيرت مجريات الأحداث.

كما عانت أسرته كثيرًا وذاقت مرارة الفقر والجوع والحرمان، فكان يذهب الشيخ إلى معسكرات الجيش المصرى مع بعض أقرانه لأخذ ما يزيد عن حاجة الجنود ليطعموا به أهليهم وذويهم، وقد ترك الدراسة لمدة عام (١٩٤٩-١٩٥٠) ليعين أسرته المكونة من سبعة أفراد عن طريق العمل فى أحد مطاعم الفول فى غزة، ثم عاود الدراسة مرة أخرى.

فى السادسة عشرة من عمره تعرض الشيخ لحادثة خطيرة أثرت فى حياته كلها منذ ذلك الوقت وحتى الآن، فقد أصيب بكسر فى فقرات العنق أثناء لعبه مع بعض أقرانه عام ١٩٥٢، ولم يخبر الشيخ أحدًا ولا حتى أسرته، بأنه أصيب أثناء مصارعة أحد رفاقه (عبدالله الخطيب)، خوفًا من حدوث مشاكل عائلية بين أسرته وأسرة الخطيب، وبعد (٤٥) يومًا من وضع رقبته داخل جبيرة من الجبس اتضح بعدها أنه سيعيش بقية عمره رهين الشلل الذى أصيب به فى تلك الفترة.

ومع هذه الظروف الصعبة التى كان يحياها الشعب الفلسطينى فى تلك الفترة، قاوم الشيخ ببسالة كل محاولات الإذلال التى تمارس ضد شعبه، فقد شارك وهو فى العشرين من العمر فى التظاهرات التى اندلعت فى غزة، احتجاجًا على العدوان الثلاثى الذى استهدف مصر عام ١٩٥٦، وأظهر قدرات خطابية وتنظيمية ملموسة، حيث نشط مع رفاقه فى الدعوة إلى رفض الإشراف الدولى على غزة، مؤكدًا ضرورة عودة الإدارة المصرية إلى هذا الإقليم.

أنهى دراسته الثانوية فى العام الدراسى (١٩٥٧ - ١٩٥٨)، ونجح فى الحصول على فرصة عمل، رغم الاعتراض عليه فى البداية بسبب حالته الصحية، إذ يروى أنه حين تخرّج منَ الثانوية العامة ذهب الشيخ مترنّحًا يمينًا وشمالاً نتيجة شلله - ولم يكن شلله كاملاً فى ذلك الوقت - ليتقدّم مدرسًا للغة العربية أثناء الإدارة المصرية لقطاع غزّة، فيلقاه أحد أصحابه، ويقول له مشفقًا عليه: «هل تتصوّر أن اللجنة ستوافق عليك، وأنت تعرف سمعتها، والناس كلهم يتحدّثون عن باب الدخول إليها، يا أخى الكريم أرى أن توفّر على نفسك شقاء الرحلة».

فرد عليه الشيخ قائلاً: «يا أخى وهل تتصوّر أننى ذاهب للّجنة كى أستعطفها؟ لا والله، فأنا مسلم وأثق أن الله إذا أراد لى التعيين فلن يتمكّن بشرٌ من قطع رزقى.. ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾» (الذاريات: ٢٢، ٢٣).

وبالفعل وافق الحاكم الإدارى العام، الفريق أحمد سالم، على

تعيينه رغم إشارة لجنة الامتحانات إلى عرجه، فقد كان للحاكم ابن أعرج، ممّا دفع به إلى القول: «وإيه أعرج، يعنى ما يشتغلش - أى لا يعمل !»(١).

تسلّم الشيخ أحمد ياسين عمله مدرّسًا للغة العربية والدين، وكان التخوّف أن يتعرّض الأستاذ الأعرج إلى سخرية بعض التلاميذ، ولكنّ العجب أن الرجل استقطب احترام جميع طلاب المدرسة حتى المشاغبين منهم، فضلاً عن أولياء أمور الطلاب، كما كان الشيخ يوجه الطلاب إلى المسجد ليكمل لهم عقب صلاة العصر ولمرتين أسبوعيًا ما لم تتسع له حصصهم المدرسية، وسرّ أولياء الأمور بهذا الأمر إلا بعضهم، فكان يرد عليهم مدير المدرسة بالقول: «أنا سعيد جدًا بهذا المدرس، وسأقدّم له كتاب شكر على ذلك، وحبذا لو كان فى كل مدرسة فى القطاع مدرس مثله»، كما كان معظم دخله من مهنة التدريس يذهب لمساعدة أسرته.

تعتبر فترة الخمسينيات، من أصعب الفترات التى تعرض لها المسلمون بصورة عامة، حيث كان المد الناصرى على يد جمال عبد الناصر - الرئيس المصرى الأسبق - الذى تفنّن فىّ اضطهاد جماعة الإخوان المسلمين بمصر قد بلغ مداه، وعندما كان رجالات الجماعة فى قطاع غزة يغادرون القطاع هربًا من بطش السلطات المصرية، كان للشيخ رأى آخر، فقد أعلن أن على هذه الأرض ما يستحق الحياة والجهاد.

---

(١) انظر: المراجع السابقة.

أى أن الشيخ بدأ من الصفر، فى زمن كان المد اليسارى والقومى يجتاح الضفة الغربية وقطاع غزة، فيما يغيب التدين عن المجتمع الفلسطينى على نحو لم يحدث من قبل(١)، عندما كان التدين بدعة سيئة وعلامة رجعية، ظل أحمد ياسين مصرًا على أن زمن الإسلام قادم لا محالة، وأن ما تراكم من غبار على وعى الأمة لن يلبث أن يزول لتعود إلى جذورها وسر عزتها.

ومع فقده القدرة البدنية والجسمانية، برزت عنده موهبة الخطابة والإقناع فى الجماهير بقوة، ومعها بدأ نجمه يلمع وسط دعاة غزة، الأمر الذى لفت إليه أنظار المخابرات المصرية العاملة هناك، فقررت عام ١٩٦٥ اعتقاله ضمن حملة الاعتقالات التى شهدتها الساحة السياسية المصرية التى استهدفت كل من سبق اعتقاله من جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٥٤، وظل حبيس الزنزانة الانفرادية قرابة شهر، ثم أفرج عنه بعد أن أثبتت التحقيقات عدم وجود علاقة تنظيمية بينه وبين الإخوان.

لكن يؤكد الشيخ اعتناقه أفكار جماعة الإخوان المسلمين التى تأسست فى مصر على يد الإمام حسن البنا عام ١٩٢٨، والتى تدعو إلى فهم الإسلام فهمًا صحيحًا والشمول فى تطبيقه فى شتى مناحى الحياة، ويعتبر الشيخ زعيم ومنظر هذه الجماعة فى

---

(١) لمزيد من التوسع حول الأطياف السياسية الفلسطينية، انظر: فيصل الحورانى، الفكر السياسى الفلسطينى ١٩٦٤ - ١٩٧٤، ط١، (بيروت: مركز الأبحاث، ١٩٨٠)، ص١٩١.

فلسطين، وكشف عن ذلك فى تعزية الجماعة باستشهاده[1].

وقد تركت فترة الاعتقال فى نفسه آثارًا مهمة لخصها بقوله: «إنها عمقت فى نفسه كراهية الظلم، وأكدت - فترة الاعتقال - أن شرعية أى سلطة تقوم على العدل وإيمانها بحق الإنسان فى الحياة بحرية».

لكن بعد هزيمة عام ١٩٦٧التى احتلت فيها القوات الصهيونية كل الأراضى الفلسطينية بما فيها قطاع غزة، استمر الشيخ فى إلهاب مشاعر المصلين من فوق منبر مسجد العباس بحى الرمال بمدينة غزة الذى كان يخطب فيه لمقاومة المحتل، وفى الوقت نفسه نشط فى جمع التبرعات ومعاونة أسر الشهداء والمعتقلين.

ومن مواقفه التربوية، أنه حين وقع الاختيار على أربع فتيات من جيران الشيخ للمشاركة فى الرقصات أثناء حفل وطنى، حرّض الشيخ أولياء الأمور على رفض المشاركة، فأمر مدير التعليم بفصلهن من المدرسة، فاتصل الشيخ وأولياء الأمور بمساعد الحاكم العسكرى العام وهددوه بأن مخيم الشاطئ على موعد غدًا مع مظاهرة كبرى احتجاجًا على هذا التصرف، وعلم الحاكم الإدارى بالموضوع فعنّف مدير التعليم وأمر بإعادة البنات

---

(١) لمزيد من التوسع إلى دور الإخوان المسلمين فى فلسطين البدايات التأسيسية، انظر: محسن صالح، دراسات منهجية فى القضية الفلسطينية، (مركز الإعلام العربى، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م) مجموعة من الباحثين، خبرات الحركة السياسية الفلسطينية فى القرن العشرين، (غزة: المركز القومى للدراسات والتوثيق، ط١، ٢٠٠٠)، ص ١٣٤.

فورًا إلى مدارسهنّ، ولم يشاركن فى الحفل الراقص.

كما طوّر الشيخ العمل فى المساجد، فجعل دروسًا للنساء، ودروسًا للرجال، وثالثة للأطفال، ولأول مرة تشهد المساجد حركة نسائية تستمع إلى محاضرين أمثال الشيخ أحمد ياسين أو من ينتدبهم لذلك.

وفى أوائل السبعينيات زاره مدير التربية والتعليم بصحبة ضابط إسرائيلى، وقرّر أنه لا يصلح جسديًا للتدريس وأحاله إلى التقاعد.

أفاد الشيخ ياسين من هذه الحادثة الجائرة وتفرّغ للعمل الإسلامى، ثم بدأ الاتصال بمسلمى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨، وذلك بتسيير رحلات يقوم بها هو والعديد من أبناء غزة إلى هناك، فيحيى مساجد مهجورة فى المدن الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨، ثم فتح حوارًا مع عبد الله نمر درويش فى بلدة أم الفحم، وكان سكرتيرًا للحزب الشيوعى هناك، وحاول إيضاح الفكر الإسلامى إليه، وأسفر هذا الحوار عن اعتناق عبد الله نمر درويش لهذا الفكر، وأصبح من كبار دعاته، ولقد تأسست بعد ذلك الحركة الإسلامية فى مناطق عام ١٩٤٨م، وتعتبر اليوم من كبرى الحركات والتنظيمات الفلسطينية الواقعة فى دولة الاحتلال[1].

---

(١) انظر: رائد صلاح: الحركة الإسلامية، خبرات الحركة السياسية الفلسطينية فى القرن العشرين، ص ٣٦٤.

انطلق الشيخ أحمد ياسين من المساجد ليؤسّس عملاً اجتماعيًا من خلال إنشاء صناديق فى كل مسجد يتردّد عليه، من حى الشجاعية فى شرق غزة إلى مخيم الشاطئ فى غربها، تلك الأحياء التى له فيها مريدون يسعون على اليتامى والمساكين، وقد انتشرت هذه الصناديق، وأصبح الصرف منها سرًا للفقراء، فى ظل الاحتلال، حتى لا تتعرّض للمصادرة أو يتعرّض القائمون عليها للسجن والاعتقال.

فى الفترة ما بين ١٩٧٥ و١٩٧٦ أهملت بلدية غزة نظافة المدينة لقلة إمكاناتها، فأثار ذلك اهتمام الشيخ وشباب الحركة الإسلامية فى القطاع، فقرروا مباشرة تنظيف الشوارع بأنفسهم فى مجموعات كان يشرف عليها الشيخ، حيث ينتقل من موقع إلى موقع فى سيارة متواضعة لأحد محبيه يحثّ الشباب على الجدّ والنشاط ويدعو لهم.

فى العام ١٩٧٦ بدأ الشيخ فى تنفيذ مشروع اعتبره آنذاك خطوة فى طريق الصراع مع العدو الصهيونى، وهو إنشاء المجمع الإسلامى فى قطاع غزة(١)، ضم المجمع بداية روضة أطفال ولجان جمع الزكاة، ثم ما لبث هذا المجمع أن أنشأ عشرات الجمعيات والمؤسسات الإسلامية الأخرى على امتداد قطاع غزة والضفة الغربية، إضافة إلى عشرات المؤسسات والمراكز الاستشفائية.

---

(١) لمزيد من التوسع، انظر: مهيب النواتى، حماس من الداخل، (غزة: دار الشروق، ط١، ٢٠٠٢)، ص١٢.

ولا ننسى الجامعة الإسلامية التى أضحت صرحًا مجيدًا فى القطاع يتمتع بسمعة علمية رفيعة، وتضم الآلاف من طلاب غزة، وتحتوى رياض الأطفال اليوم أكثر من خمسة آلاف طفل، إضافة إلى ألف طفل فى مدارس الأقصى، كما يتكفّل المجمع الإسلامى بثلاثة آلاف يتيم، ويدفع الرسوم عن آلاف الطلبة الجامعيين.

كما أسهم الشيخ أحمد ياسين بكونه أمين عام المجمع الإسلامى بأشياء كثيرة منها: إرسال الطلبة لتلقى الدراسات الجامعية فى الخارج.

ثم اعتقل الشيخ عام ١٩٨٣ بتهمة حيازة أسلحة، وتشكيل تنظيم عسكرى، والتحريض على إزالة الدولة العبرية من الوجود، وقد حوكم الشيخ أمام محكمة عسكرية صهيونية أصدرت عليه حكمًا بالسجن لمدة ١٣ عامًا.

أفرج عنه عام ١٩٨٥ فى إطار عملية تبادل للأسرى بين سلطات الاحتلال والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة، بعد أن أمضى ١١ شهرًا فى السجن.

انتفاضة المساجد

بعد اندلاع الانتفاضة الكبرى فى ٨ من ديسمبر ١٩٨٧ قرر الشيخ مع عدد من قيادات جماعة الإخوان تكوين تنظيم إسلامى لمحاربة الاحتلال بغية تحرير فلسطين أطلقوا عليه اسم «حركة المقاومة الإسلامية»، المعروفة اختصارًا باسم «حماس»، وكان له دور مهم فى الانتفاضة الفلسطينية التى اندلعت آنذاك، واشتهرت بانتفاضة المساجد، ومنذ ذلك الوقت والشيخ ياسين يعتبر الزعيم

الروحى لتلك الحركة، ويمكن اعتبارها بداية أسلمة للقضية الفلسطينية والصراع مع الصهاينة على النطاق الشعبى والدولى.

داهمت قوات الاحتلال الصهيونى منزله أواخر شهر أغسطس ١٩٨٨، وقامت بتفتيشه وهددته بدفعه فى مقعده المتحرك عبر الحدود، ونفيه إلى لبنان.

مع تصاعد أعمال الانتفاضة وتصاعد قوة «حماس»، وإقدامها على تنفيذ عمليات مسلحة منها اختطاف جنديين صهيونيين عام ١٩٨٩ اعتقلته قوات الاحتلال بتاريخ ١٨ من مايو ١٩٨٩ مع المئات من أعضاء حركة «حماس»، فى محاولة لوقف المقاومة المسلحة التى أخذت آنذاك طابع الهجمات بالسلاح الأبيض على جنود الاحتلال ومستوطنيه، واغتيال العملاء.

فى ١٦ من يناير ١٩٩١ أصدرت عليه محكمة عسكرية صهيونية حكمًا بالسجن مدى الحياة، مضافًا إليه خمسة عشر عامًا، بعد أن وجهت للشيخ لائحة اتهام تتضمن ٩ بنود منها التحريض على اختطاف وقتل جنود صهاينة، وتأسيس حركة «حماس» وجهازيها العسكرى والأمنى.

وبالإضافة إلى إصابة الشيخ بالشلل التام، فإنه يعانى من أمراض عدة منها - فقدان البصر فى العين اليمنى بعد ضربه عليها أثناء التحقيق، وضعف شديد فى قدرة الإبصار للعين اليسرى، التهاب مزمن بالأذن، حساسية فى الرئتين، أمراض والتهابات باطنية ومعوية، وقد أدى سوء ظروف اعتقال الشيخ إلى تدهور حالته الصحية، مما استدعى نقله إلى المستشفى مرات عدة.

فى ١٣ من ديسمبر ١٩٩٢ قامت مجموعة فدائية من مقاتلى كتائب الشهيد عز الدين القسام التابعة لـ «حماس» بخطف جندى صهيونى وعرضت المجموعة الإفراج عن الجندى مقابل الإفراج عن الشيخ ومجموعة من المعتقلين فى السجون الصهيونية، بينهم مرضى ومسنون ومعتقلون عرب، اختطفتهم قوات صهيونية من لبنان، إلا أن الحكومة الصهيونية رفضت العرض وداهمت مكان احتجاز الجندى، مما أدى إلى مصرعه ومصرع قائد الوحدة المهاجمة قبل استشهاد أبطال المجموعة الفدائية فى منزل فى قرية بيرنبالا قرب القدس.

أفرج عنه فجر يوم الأربعاء ١ من يناير ١٩٩٧، بموجب اتفاق جرى التوصل إليه بين الأردن والكيان الصهيونى للإفراج عن الشيخ مقابل تسليم عميلين صهيونيين اعتقلا فى الأردن، عقب محاولة الاغتيال الفاشلة التى تعرض لها الأستاذ خالد مشعل - رئيس المكتب السياسى لحركة حماس - وعاد الشيخ إلى غزة، وخرج عشرات الآلاف من الفلسطينيين لاستقباله.

وقد خرج الشيخ فى جولة علاج إلى الخارج وأداء فريضة الحج، زار خلالها العديد من الدول العربية، واستقبل بحفاوة من قبل زعماء عرب ومسلمين، ومن قبل القيادات الشعبية والنقابية، ومن بين الدول التى زارها السعودية وإيران وسوريا والإمارات.

وعمل الشيخ على إعادة تنظيم صفوف حركة «حماس» من جديد، عقب تفكيك بنى الحركة من قبل أجهزة أمن السلطة الفلسطينية، بعد الحرب الشرسة التى شنتها على الحركة فى عام ١٩٩٦، بعد عمليات الثأر التى نفذتها الحركة ضد الصهاينة.

الشيخ والسلطة الفلسطينية

وقد شهدت علاقته بالسلطة الفلسطينية فترات مد وجزر، حيث وصلت الأمور أحيانًا إلى فرض الإقامة الجبرية عليه وقطع الاتصالات عنه.

وخلال انتفاضة الأقصى التى اندلعت فى ٢٨ من سبتمبر ٢٠٠٠، شاركت حركة «حماس» بزعامة الشيخ فى مسيرة المقاومة الفلسطينية بفاعلية بعد أن أعادت تنظيم صفوفها، وبناء جهازها العسكرى، حيث تتهم سلطات الاحتلال «حماس» تحت زعامة الشيخ بقيادة المقاومة الفلسطينية، وظل الاحتلال الصهيونى يحرض دول العالم على اعتبار حركة حماس حركة إرهابية، ويطالب بتجميد أموالها، وهو ما استجابت له الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى.

ولم تستجب السلطة الفلسطينية للمطالب الشعبية المتكررة بعدم الضغط على «حماس»، مما دعاها لأكثر من مرة لفرض الإقامة الجبرية على الشيخ فى ظل هذه الانتفاضة.

وقد تلقى الشيخ الكثير من التهديدات من قبل الاحتلال بالتصفية الجسدية، ابتدأت بالتهديدات المبطنة، ثم العلنية بصورة وقحة لا تمت للإنسانية بصلة.

وفعلاً حاولت سلطات الاحتلال الصهيونى فى ٦ من سبتمبر ٢٠٠٣ اغتيال الشيخ وبرفقته إسماعيل هنية مدير مكتبه، حينما استهدف صاروخ أطلقته طائرات حربية صهيونية مبنى سكنيًا كان يتواجد فيه.

وفى صباح يوم الإثنين، ٢٢ من مارس ٢٠٠٣، تناقلت وسائل الإعلام وبثت شاشات التلفاز، وازدحمت شبكة المعلومات «الإنترنت» على الصور المروعة لبقع من الدماء وقطع من اللحم المحترق، وبعض من خلايا الدماغ، وبقايا عجلة كرسى متحرك كان يستخدمه الشيخ المقعد[1]، بعد إطلاق الصواريخ من طائرات الأباتشى، ويرتفع الشيخ إلى العلا معه عدد من مرافقيه والمصلين عقب أدائهم فريضة صلاة الفجر فى مسجد المجمع الإسلامى القريب من منزله فى حى الصبرا بمدينة غزة.

ب - أخلاقه وصفاته:

لم تكن حياة الشيخ أحمد ياسين مكللة باليسر والسهولة والثقة بالنفس بما يمكنه من أن يكون مرشدًا لأكبر تيار إسلامى فى فلسطين، أو رمزًا إسلاميًا مشهورًا فى العالم، بل كما عرفنا من سيرة حياته أنه واجه صعوبات شديدة فى نفسه وأهله وبلده.

ففى نفسه، واجه الإعاقة الجسدية فى سن مبكرة، مما عطل عليه الكثير من المهام والأعمال، ولعل فى ذلك حكمة ربانية لم يدركها الكثيرون، إذ لو كان صحيحًا - والله أعلم - لانضم إلى جماعة المعافين فى البدن عديمى الإرادة الذين يزيد عددهم الآن عن مليار وربع المليار مسلم، لكن تسامت الحكمة الربانية فى

---

(١) انظر: طبيعة العنف والإرهاب والمجازر اليهودية ضد المسلمين فى فلسطين، قبل وبعد اتفاق أوسلو ١٩٩٣، د. عبد الوهاب المسيرى، الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى، (القاهرة: دار الشروق، ط١، ٢٠٠١)، ص (٢٧٥-٣٣٥).

تعطيل جسده وعلو نفسه وهمته.

وفى أهله، كان لابد أن يعيش كما عاش الشعب الفلسطينى فى تلك الفترة حياة المطرود من دياره فى ظل الجرائم والمجازر الجماعية على يد العصابات الصهيونية، وفى ظل التشرد والضياع فى باقى مناطق البلاد والدول العربية المجاورة.

وفى بلده، حيث احتلال أعتى أعداء الأمة والإنسانية، فى استعمار لم يعرف له العالم مثيل، استعمار استيطانى مدعوم بالدول الاستعمارية الكبرى.

وفى ظل هذه الصعوبات والمعوقات، كان التحدى قائمًا فى نفس الشيخ الهُمام، فأخلاقه وصفاته تدعم هذه المهمة، وقد تجلت سجايا الشيخ طيلة حياته بما يلى:

عبادته، لعل من بركة الشيخ (رحمه الله تعالى) حفاظه على العبادات والشعائر الدينية، ففى حديثه عن برنامج يومه لا سيما أيام الاعتقال والسجن، أنه كان على صلة وثيقة بالله تعالى من خلال الصلاة المفروضة والفرائض، يكفى أنه أتم حفظ القرآن فى السجن.

يقول عن فترة وجوده بالسجن، وكيف كانت معنوياته النفسية: «كان السجن رغم ضيقه وظلماته وضغوطه النفسية، وسوء المعاملة من السجانين.. إلا أن الإنسان المؤمن يجد فى السجن متعة، المتعة فى أن يتفرغ فى علاقته مع الله، علاقة العبادة وعلاقة القرآن،

أنا أكملت حفظ القرآن فى السجن..»[1].

أما عن برنامجه اليومى، فيقول: «أبدأ يومى بصلاة الفجر، ثم بعد ذلك بقراءة القرآن، ثم أعود للراحة قليلاً، ثم أقوم للإفطار، وأبدأ العمل الذى يكون ارتباطًا بمواعيد مع الناس ومقابلات لحل مشاكلهم وقضاياهم ومناقشة همومهم فى المجتمع، كذلك الاهتمامات بالمساعدات المادية التى يتلقاها البعض»[2].

الزهد والتقشف فى الدنيا، تقول ابنته مريم: «إن الشيخ كان يعيش فى بيت متواضع جدًا، يتكون من ثلاث غرف، وفى البيت شبابيك كتير (تعبانة!) أبى كان لا يحب الدنيا، كان يحب بيوت الآخرة، عرض عليه كثيرًا أن يكون له بيت مثل بيوت الرؤساء، عرض عليه من السلطة الفلسطينية بيت ضخم فى أرقى أحياء غزة، ولكنه رفض العرض؛ لأنه يريد الآخرة ولا يهتم بهذه الشكليات الدنيوية»، ووصفت البيت بأن «مساحته ضيقة، لا يوجد فيه بلاط، المطبخ متهتك جدًا، فى الشتاء بارد جدًا، والصيف حار جدًا، لكنه لم يفكر مطلقًا فى تجديد البيت؛ لأنه كان مشغولاً فى تجهيز بيته فى الآخرة»[3].

وعلى الرغم من أن الشيخ يترأس أكبر الحركات الفلسطينية،

---

(١) انظر: الشيخ وهو يذكر سيرة حياته، برنامج شاهد على العصر، (أبريل ١٩٩٧)، نقلاً عن موقع الجزيرة.

(٢) نقلاً عن: موقع إسلام أون لاين، www.Islamonline.net، بتاريخ ٢٢ مارس ٢٠٠٤.

(٣) موقع إسلام أون لاين، www.Islamonline.net، بتاريخ ٢٥ مارس ٢٠٠٤، أيضًا جريدة السبيل الأردنية، العدد (٥٣٤)، ٥ أبريل ٢٠٠٤.

إلا أنه يسكن بيتًا متواضعًا، لا يقبل أن يسكنه إلا الفقراء، ويرتدى الملابس البسيطة، ويتناول طعامًا دون المتوسط[1].

ولعل فى هذا مفارقة، حيث جنت الحركة فى الأعوام التى أعقبت خروجه من السجن دعمًا ماليًا هائلاً، وقد حدث ذلك بزياراته للبلاد العربية والإسلامية، لكنه مع هذا لم يخص أهله وذويه بشىء من ذلك، كما فعل العديد من رموز السلطة الفلسطينية، ولعل فى الفساد المالى لرموز السلطة ما يزكم الأنوف، ويجعل مخالفى الشيخ يحترمونه فى نزاهته وأمانته.

وقد امتاز كذلك **بالوقار والدماثة والوجه الطلق المشرق والأدب الجم**، ولم يلقه إنسان إلا وذكر مجلسه بالخير، وقد جالس العوام والصغار، ورؤساء الدول والحكومات، ومع هذا لم يذكره أحد إلا بالخير، وأنه وإن اختلف مع مخالفيه، أبقى بينه وبينهم شعرة معاوية، ولعل ذلك ما يحسب له ولطبعه رحمه الله.

كما اتصف **بالتواضع الجم** والالتحام بأبناء شعبه وهمومهم، فلم يستنكف عنهم، يقول عنه أحد أحبائه، إن بيته «.. كان مأوى للشباب، وفى معسكر الشاطئ الشمالى فى غرفة القرميد الصغيرة التى لا تتجاوز (٣ × ٣م)، هذه الغرفة التى كانت خلية نحل على مدار الساعة، ما دخل أحد إلا وخرج راضيًا مقتنعًا»[2].

---

(١) جريدة السبيل الأردنية، العدد (٥٣٤)، ٥ أبريل ٢٠٠٤.

(٢) محمد أحمد البحر، استشهاد الشيخ أحمد ياسين، انظر: جريدة السبيل الأردنية، العدد (٥٣٤)، ٥ من أبريل ٢٠٠٤.

ولعل فى تواصله مع هموم شعبه ومشاكله، ما جعله شيخًا اجتماعيًا وداعية مصلحًا، قبل أن يكون مؤسسًا لحركة وتنظيم، فكان للفقراء السند، وللمجاهدين الموجه الحكيم.

تقول ابنته مريم، إنه كان قريبًا جدًا من حال الفقراء والمساكين، إذ كان يبعث من مصروف بيته للفقراء والمحتاجين، ويقول: «ربنا يرزق»، ومما يروى عنه (رحمه الله) أن أحد التجار تبرع بكمية من القمصان الفاخرة للتوزيع الخيرى بإشراف الشيخ، فاقترح أحد أبناء الشيخ استبدال مائتى قميص متوسط الجودة بخمسة قمصان فاخرة، حتى يغطى أكبر عدد ممكن، ولكن الشيخ رفض، وقال: «أليس من حق الفقير أن يلبس قميصًا فاخرًا!»[1].

كما كانت له كرامات مع أصحابه وأحبائه، فمن ذلك ما يرويه أحد مرافقيه أبو مصعب: «ما إن أنتهى من إطعام الشيخ بيدى – لأنه لا يستطيع أن يأكل بيده – حتى أشعر أننى أنا كذلك شبعت تمامًا، فجوفى ممتلئ ونفسى شبعانة»[2].

كان **مولعًا بالقراءة والمطالعة**، يقول أحد مرافقيه (رحمه الله) فى السجن، المهندس فريد زيادة: «كان الشيخ شديد الاهتمام بالقراءة والمطالعة، وكان ذكيًا واضح الفراسة إلى الحد الذى جعله يحفظ ما يقرأه بسهولة، شديد الولع بقراءة كتاب البداية والنهاية فى التاريخ، وكان يطلب منا أن نمتحنه فيه، فنسأله عن قصيدة أو مقولة أو أى فكرة فى الكتاب فيخبرنا أنها موجودة فى مجلد كذا،

---

(١) جريدة السبيل الأردنية، العدد (٥٣٤)، ٥ من أبريل ٢٠٠٤.

(٢) انظر: (موقع المركز الفلسطينى للإعلام، انظر: www.palestine-info.net).

صفحة كذا»[1].

ومما يحسب له **قدرته الفائقة على الموازنة** بين متطلبات التنظيم والعمل السرى، وبين علنية الدعوة والقدرة على التواصل مع الجماهير التى تطلب بابه باستمرار.

ولعل فى انشغاله فى فترة السبعينيات وبداية الثمانينيات بالعمل القضائى عبر لجان الصلح التى كانت تقام فى بيته المتواضع، خير دليل على وثوق الناس به وبعدله.

كما كانت الدعوة تشغله باعتباره معلمًا للدين الإسلامى، فتروى ابنته مريم أنه على الرغم من أنه مشلول، قد يكون صائمًا، فتدركه صلاة المغرب، وهو فى مكان بعيد عن البيت، فيمر على «بقالة»، ليشرب كوبًا من اللبن، ليفطر عليه، ويواصل دعوته، وكما تقول ابنته ما فى مسجد فى قطاع غزة، إلا والشيخ قد زاره خطيبًا أو واعظًا أو محاضرًا[2].

كما كان **عفيف اللسان** على إخوانه، بل ومخالفيه، ولم ينزل إلى سوق النخاسة اللفظية، ليتناول بالسباب والشتيمة مخالفيه ومعارضيه، بل كان يستخدم مع ألد أعدائه اللغة الدبلوماسية فى تخطئة الموقف وليس الشخص أو المجموعة.

ومما يحسب له أيضًا، بصفاته وأخلاقه أنه كان **مثقفًا سياسيًا وواعيًا بقضية شعبه وتاريخها**، وطبيعة العدو الذى يقاتله، مع غلبة استعمال الفصحى فى كلامه.

---

(١) نقلاً عن موقع المركز الفلسطينى للإعلام.

(٢) جريدة السبيل الأردنية، العدد (٥٣٤)، ٥ من أبريل ٢٠٠٤.



المبحث الثاني

الملامح الفكرية والقيادية لمنهجه في التغيير والإصلاح

استطاع الشيخ أحمد ياسين كداعية إسلامى ومصلح اجتماعى ومؤسس لحركة جهادية أن يحدث على أرض فلسطين الكثير من الوقائع لصالح العمل الإسلامى، والحد من قدرة العدو السرطانية على التمدد على الساحة العربية والإسلامية فى ظل الضعف المهول التى تحياها.

ولعل فى سيرة الشيخ ما يجعلنا نلمح فى أكثر من موضع ألمعية فى القيادة[1]، ووضوح الذى نسأل الله أن يكون قد رزقه للفكرة وإنارتها للغير، ولتوضيح ذلك سنقتصر على أهم ملامح المنهج الفكرى والقيادى لديه، ثم نتناول بعض الدلالات والعبر على حسن الختام الذى رزقه.

أما أهم ملامح منهجه الفكرى والقيادى فى التغيير والإصلاح، فهى:

١ - العمل على أسلمة الصراع مع العدو الصهيونى، بعدما توالت عليه الرايات القومية والعلمانية واليسارية

فى نص نشرته صحيفة يديعوت أحرونوت الصهيونية عام ١٩٧٨م، حذر من مغبة تجاهل قوة وصمود المد الإسلامى، إذ قال: «علينا ألا ننسى حقيقة مهمة، هى جزء من استراتيجية «إسرائيل» فى حربها مع العرب، هذه الحقيقة أننا قد نجحنا بجهودنا،

---

(١) قارن مع: عاطف عدوان، الشيخ أحمد ياسين، حياته وجهاده، ص (١١٠-١٢٤)، (نقلاً عن موقع المركز الفلسطينى للإعلام، انظر: www.palestine-info).

وجهود أصدقائنا فى إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طوال ثلاثين عامًا، ويجب أن يبقى الإسلام بعيدًا عن المعركة إلى الأبد، ولهذا يجب ألا نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا فى منع استيقاظ الروح الإسلامية بأى شكل، ولو اقتضى الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف والبطش لإخماد أية بادرة ليقظة الروح الإسلامية.. وإذا فشلنا فى إقناع أصدقائنا بتوجيه ضربة قاضية إليها فى الوقت المناسب، فإن على «إسرائيل» حينذاك أن تواجه عدوًا حقيقيًا لا وهميًا، عدوًا حرصنا أن يبقى بعيدًا عن المعركة»[1].

والحديث عن الهوس اليهودى والغربى بصورة عامة بعودة الإسلام من جديد ليس بالأمر الجديد، والكلام فيه يكثر ويتفصل.

ونحن نتحدث عن مجدد حضر معنا بداية الألفية الثالثة، استطاع أن يرجع الراية الحقيقية لأهلها، بعد سنوات من الغياب والضياع والخوف الذى أصاب المسلمون منه الشىء الكثير، فبعد سنوات العزل والبطش التى مورست باسم القومية والعلمانية واليسارية ضد الإسلاميين فى العقود الماضية، استطاع الشيخ بفكر منيب وعقل مصيب تهيئة الأجواء والمناخ لعودة الإسلام من جديد.

---

(١) نقلاً عن أميمة أحمد الجلاهمة، رجل تعدت حكمته حدود جسده، انظر: صحيفة الوطن السعودية، ٢٨ من مارس ٢٠٠٤.

ولن نستطيع أن نهضم حقوق من أسهم مع الشيخ فى عودة الإسلام والصحوة الإيمانية لأبناء فلسطين، لكن موقعه أنه كان الرمز فى هذه المعادلة، وفى الميثاق الذى صاغه الشيخ مع مؤسسى حركة حماس، جاء فيه: «.. لا بد من ربط قضية فلسطين فى أذهان الأجيال المسلمة على أنها قضية دينية، ويجب معالجتها على هذا الأساس ..»[1].

ويكتب له التاريخ أنه استطاع تنمية العمل الإسلامى فى قطاع غزة فى ظل البوليس الأمنى المصرى المتصيد لأى عمل إسلامى فى ظل احتلال غاشم على قلوب الجميع، وتصاعد رايات وفصائل بينها وبين الإسلام ما بين الشرق والغرب.

وهنا لابد من الإشارة إلى دور المسجد فى فكر الشيخ، فمن المسجد انطلق يدعو، ومنه كان آخر عهده بالدنيا، فلقد علم الشيخ أن للمسجد دورًا قياديًا فى تحريك الشعوب والجماهير، وهذا ما فعله نبى المجددين (ﷺ) عند قدومه المدينة، ليؤسس أول دولة إسلامية.

لقد استطاع أنصار الشيخ السيطرة على جميع المساجد فى الضفة تقريبًا (٧٠٠) مسجد، وفى غزة (٦٠٠) مسجد، بعدما كانت فى عام ١٩٦٧ (٢٠٠) مسجد[2].

---

(١) انظر: ميثاق حركة حماس، الصادر فى ١٨ من أغسطس ١٩٨٩، (لا ناشر ولا مكان للنشر)، كذلك قارن مع خالد الحروب، حماس، الفكر والممارسة السياسية، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط٢، ١٩٩٧)، ص ٤٨.

(٢) محسن صالح، الطريق إلى القدس، ص١٦٧، مهيب النواتى، حماس من الداخل، ص١٢١.

وبفكره التربوى وشخصيته المؤثرة استطاع أن ينطلق من المسجد بنوايا صلبة، عملت معه فى إنشاء المدارس والجامعات، ومنها الجامعة الإسلامية فى غزة، والمجمع الإسلامى ليكون حاضنًا اجتماعيًا لكل الفلسطينيين.

لذا لم يكن غريبًا أنه باستشهاده صار رمزًا إسلاميًا لكل أبناء الشعب الفلسطينى، باعتباره رجل الوفاق والنقطة التى تلتقى عندها كل التيارات.

وهنا يجدر التنبيه إلى أن نسبة التدين فى الشعب الفلسطينى تعتبر من النسب العالية إذا قورنت بالشعوب العربية والإسلامية الأخرى، وهذا يفسر جانبًا من استفادة الشيخ من بركة أرض فلسطين وقداستها الشرعية، وعمله على تفعيل ذلك عمليًا.

٢ - العمل المؤسسى واعتماد الشورى كآلية لاتخاذ القرار، والابتعاد عن المركزية والفردية فى التعامل مع القضايا المصيرية، كما فعل ويفعل البعض، لا سيما على الساحة الفلسطينية.

فقد بدأ دعوته بثلة مؤمنة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة، فى ظل احتلال شرس لم يعرف له التاريخ مثيلاً، وفى جو مشحون بالتنظيمات العلمانية واليسارية والقومية تزعم أنها المؤهلة لتحرير فلسطين والمقدسات الإسلامية فيها، وفى فترة كان العمل الإسلامى فيها تهمة تستدعى القضاء عليه قبل مهاجمة المحتل.

وعلى الرغم من هذا كله، مضاف عليه طبيعة العمل التنظيمى

السرى الملاحق من قبل الأجهزة الأمنية اليهودية، ثم الأجهزة الأمنية السلطوية، استطاع الشيخ تثبيت مبدأ الشورى والعمل المؤسسى والجماعى.

وعلى الرغم من أن شخصيته «الكاريزمية»، وقياداته التاريخية ومرجعيته الدينية وقيادته السياسية تؤهله فى بعض الأحيان أن يتجاوز الترتيبات التنظيمية - والتى قد تكون إجرائية فى البعض منها - لم يُعهد على الشيخ أن تجاوز ذلك، ولعل فى تماسك الحركة فى غياب الشيخ فى سجون الاحتلال لأعوام عديدة، ونشاطها الملحوظ ما يؤكد هذا بجلاء.

يقول الشيخ فى موضوع المؤسسة والعمل الجماعى: «عملنا عمل جماعى، عملنا عمل شورى، صحيح أحمد مسئول، لكن القرار يتخذ بالأغلبية، فلما يغيب أحمد، تسير الأمور كما يرام»[1].

كما أن العدو مارس شتى أنواع الضغط على الحركة الإسلامية إضعافها أو على أقل تقدير إحداث انشقاقات بها، ولاحقتها الأجهزة الأمنية السلطوية بأساليب أشد وأقسى، ومع هذا لم ينجحوا فى مرادهم. فالحركة تزداد شعبية، وتتوسع

---

(١) انظر: الشيخ أحمد ياسين وهو يذكر سيرة حياته، برنامج شاهد على العصر، (أبريل ١٩٩٧)، نقلاً عن موقع الجزيرة، www.aljazeera.net، كذلك انظر: عاطف عدوان، الشيخ أحمد ياسين، حياته وجهاده، ص (٧٠-١٠٩)، (نقلاً عن موقع المركز الفلسطينى للإعلام، انظر: www.palestine-info.net).

قواعدها فى الداخل والخارج، ومع هذا يبقى المنهج الشورى والمؤسسى هو الحاكم لآلية اتخاذ القرار.

لقد أكد الشيخ (رحمه الله) فى أكثر من موضع، حتى وهو فى سجون الاحتلال أنه: «لا يجوز أن ينفرد شخص أو بعض الأشخاص فى قرار يحدد مستقبل دعوتنا، وأى قرار تتخذه الأغلبية سيكون ملزمًا للجميع»[1].

ولعل هذا ما يحسب للشيخ (رحمه الله)، خلافًا للسيد ياسر عرفات - رئيس السلطة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية - الذى وصفه أكثر من مراقب فلسطينى أنه مركزى ولا يؤمن بالمؤسسية أو الشورى، فقد وصف إدوارد سعيد - المفكر الفلسطينى المشهور - عرفات بأنه «مستبد خذل شعبه»، واعتبره صنوان الفرنسى فيليب بيتان الذى تعاون مع ألمانيا ضد شعبه[2].

٣ - إنشاء المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية بصبغة إسلامية، وحق لنا أن نعتبره قائدًا ومؤسسًا للعمل الإسلامى فى فلسطين.

فى ظل احتلال لا يكترث بالحياة المدنية للشعب الواقع تحت نيرانه، وتنظيمات همها التنافس والحصول على المكاسب

---

(١) انظر: رسالة الشيخ أحمد ياسين من سجن كفار يونا بتاريخ ٣ من أكتوبر ١٩٩٣ إلى قيادة الحركة الإسلامية، نقلاً عن خالد الحروب، حماس، الفكر والممارسة السياسية، ص ٦٤.

(٢) انظر: مجلة فلسطين المسلمة، عدد (٨)، السنة (١٧)، أغسطس ١٩٩٩، ص٥.

السياسية، استطاع الشيخ من خلال إنشاء مؤسسات والإشراف عليها أن يخرج لنا أقوى حركة إسلامية فى منطقة الشرق الأوسط، إن لم نقل فى العالم الإسلامى، لا سيما إذا اعتبرناها - بوظيفتها ودورها - الحربة المسلطة على أعتى أعداء الأمة الإسلامية.

وهذا العمل المتدرج والمتواصل الذى ابتدأ منذ عقد السبعينيات، ازداد بصورة سريعة وطردية لتكون هذه مؤسسات حكومة إسلامية فى الظل، لا سيما فى قطاع غزة.

لقد رفض الشيخ الكفاح المسلح قبل انتفاضة ديسمبر ١٩٨٧، ولم يشرك أفراده فى قتال المحتل إلى جانب فصائل منظمة التحرير، على الرغم من حالات الخروج على الحركة الإسلامية والالتحاق بالعمل العسكرى، كما هو حال بعض القادة التاريخيين لحركة «فتح»، ولاحقًا «الجهاد الإسلامى».

لقد كان هَمُّ الشيخ - قبل الانتقال لمقارعة العدو - الإصلاح الاجتماعى والتربية الدينية والدعوة إلى العودة إلى قيم المجتمع المسلم، وحصر صراعه مع القوى العلمانية واليسارية المنضوية تحت (م. ت. ف.) فى الجامعات والكليات الفلسطينية.

ولقد استطاعت هذه المؤسسات نيل قسط كبير من ثقة أبناء الشعب الفلسطينى، حتى من غير الإسلاميين، يقول أحدهم: «أعرف أن كل هذه الجمعيات تتبع حماس، ورغم أنى لا أحب حماس، فقد تبرعت بالمال لهذه المؤسسات الخيرية؛ لأنى أثق بأنها

توزعها بأمانة»[1].

٤ - قدرة فائقة على إدارة دفة الأمور فى ساحة بالغة التعقيد على الصعيد الداخلى الفلسطينى وعلى الصعيدين الإقليمى والدولى.

لم يكن الشيخ ياسين شيخًا تقليديًا إلى درجة لا يقبل كل ما يطرح، ولم يكن تقدميًا تحرريًا فى طرحه، حتى تنازل عن كل مبادئه وقيمه التى يؤمن بها.

بل كانت له قدرة فائقة فى الوعى السياسى والتنظير المحكم فى الصراع مع الصهاينة، ولعل من عايشه وتابع تصريحاته، ليصدق أن الرجل كان ملهمًا فى أفكاره ونظرته للصراع.

ويمكن أن يرد هذا إلى نهجه المعتدل، وقدرته على التواصل مع الآخرين فى الساحة، فمن الأساسيات التى نادى بها الشيخ على سبيل المثال وليس الحصر، حرمة الدم الفلسطينى أو الدم الفلسطينى خط أحمر، وأن شعار مرحلة الاحتلال هو الوحدة الوطنية فى كل الظروف ومهما كانت التحديات، هذا الفكر الريادى أفسد على الصهاينة قاعدتهم المشهورة عنهم قرآنيًا ﴿ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ ﴾ (الشعراء: ١٥٢)، فضاعت عليهم كل المخططات والرهانات نحو الدفع لحرب فلسطينية أهلية.

---

(١) تقرير صحفى لوكالة رويتر بتاريخ ١١ من أبريل ١٩٩٤، انظر: خالد الحروب، حماس، الفكر والممارسة السياسية، ص ٢٦٠.

كما كانت له حصافة سياسية فى طرح أكثر من مبادرة مثل فكرة الهدنة، وتحييد المدنيين عن الصراع، عندما اشتد الهجوم على العمليات الاستشهادية.

ومن ذلك أيضًا أنه لم يرفض مشروع الدولة الفلسطينية على قسم من أرض فلسطين ٦٧، لكنه رفض دائمًا التفاوض مع الكيان الصهيونى، أو الاعتراف به.

أى أنه لم يكن شيخًا جامدًا لم يفهم اللعبة السياسية، بل برع فى إدارتها وتقويمها، وهو فى السجن كان الصهاينة يناظرونه فى شأن الصراع واستراتيجيته، وهكذا كان بارعًا فى إدارة الصراع، رغم ما عنده من متاعب ومصاعب.

٥ ـ كان الشيخ رمز الوحدة الوطنية، يجمع ولا يفرق

لقد صبر على ظلم ذوى القربى، منذ أن بدأ بمشروعه الجهادى، وعند دخول رفقاء السلاح سابقًا إلى فلسطين حسب اتفاقية أوسلو ١٩٩٣ الأمنية، لم يدخل معهم فى صراعات ومناوشات، وفُرض عليه الإقامة الجبرية أكثر من مرة، رفض أية مساومة على الدم الفلسطينى، أو الدخول فى مناوشات مع السلطة الفلسطينية «العلمانية»، وأبقى سلاحه دائمًا مسلطًا على العدو المحتل، فشكل بحكمته، صمام الأمان لوحدة الشعب الفلسطينى[1].

---

(١) لمزيد من التعرف على اتفاقية أوسلو، انظر: سعيد الحسن، غزة وأريحا أولاً، وثائق ودراسات، (عمان: دار الشروق، الإصدار الثانى، ١٩٩٥)، ص ١٤١.

أى أنه كان لدى الشيخ قدرة استيعاب للمخالفين، على الرغم من تميزه الفكرى عنهم، كما كان صاحب مشروع وحدوى، تجاوز دائرة التنظيم الضيق، بخبرة وعقلانية؛ لأنه كان يؤمن أن احتكاكه مع الآخرين المخالفين له فى الفكر، هو من طبيعة فكره وقيادته، فإذا كان مشروعه جهاديًا، فهو فى نفس الوقت مشروع دعوى، فالمشروع الإسلامى يتعزز بالاحتكاك ويتقوى بالحوارات، وليس بالانعزال والانكفاء.

حتى فى القضايا المصيرية استطاع تجاوزها بقدرته على إبقاء شعرة معاوية مع الآخرين المخالفين له فى الطرح السياسى، من ذلك قدرته على تجاوز المماحكات حول شرعية العمليات الاستشهادية فى ظل هجمة إعلامية دولية.

بل يمكن أن يُحسب للشيخ وللحركة الإسلامية بفلسطين بصورة عامة، تفوقهم على بعض الحركات الإسلامية فى العالم الإسلامى فى مد يد التعاون والتنسيق مع المخالفين لهم فى الدين والفكر، لا سيما الحركات اليسارية والعلمانية، من أجل مصالح أعلى وأقوم للمجتمع والأمة، من ذلك إقباله وقبوله عمل «تحالفات مع القوى الفلسطينية» على الساحة لكسر تسلط قيادة المنظمة، ولقد نجحوا فى الكثير من المواضع، فى الجامعات والنقابات، وفشل أنصار أصحاب التسوية.

وقد استطاع الشيخ بحنكته التحالف مع غير الإسلاميين فى سبيل إسقاط مشروع أوسلو، أو ما يسمى بالسلام مع العدو،

والمحافظة بقدر الإمكان على حقوق المسلمين التاريخية بفلسطين، والنجاح تفسره هذه النسبة من عدد المقاعد فى انتخابات الجامعات الفلسطينية فى الفترة (ما بين ١٩٩٧ إلى ١٩٩٩)، فهى خير دليل على فوز أنصار رافضى اتفاق أوسلو، وعلى رأسهم الإسلاميين ونكسة واضحة وبينة لأنصار التسوية، والجدول التالى يبين النتائج[١].

الاتجـــاه	عام ١٩٩٧	عام ١٩٩٨	عام ١٩٩٩	المتوسط
معارضو التسوية	٦١,١٪	٦١,٢٪	٦٢,٨٪	٦١,٧٪
مؤيدو التسوية	٣٢,٦٪	٣٠,٥٪	٢٨,٩٪	٣٠,٦٪

لقد استعمل الشيخ حقه الشرعى والقانونى فى التأثير على الجماهير، بعيدًا كل البعد عن استعمال القوة أو العنف ضد أبناء شعبه، ولقد نجح نهجه هذا، فهو يقول (رحمه الله) فى هذا الشأن: «أنا لن أسمح، ولا أريد أن أسمح لأى خلاف فى الشارع الفلسطينى، وسأعمل مدى حياتى على أن أقف فى وجه أى فتنة؛ لأننا بعنا أنفسنا لله، وسنقاتل فى سبيل الله، حتى تحرير فلسطين أو الشهادة إن شاء الله تعالى، هذا هو طريقنا، وسيبقى

(١) نقلاً عن مجلة فلسطين المسلمة، عدد (١٢)، السنة (١٧)، ديسمبر ١٩٩٩، ص٣٦.

سلاحنا موجهًا لصدر العدو المحتل..»[1]، «دخلنا فى السجون بشرف، وخرجنا بشرف، ولسنا مستعدين أن ندخل السجون ونحن قاتلين لأبنائنا..»[2].

وهذا درس لبعض الحركات الإسلامية التى تخوض حروبًا غير متكافئة مع أنظمة حكم علمانية ذات صبغة شمولية استبدادية فى بلدانها، ولعل هذه الظاهرة بدأت تسرى فى الكثير من البلاد الإسلامية، ويسقط فى ظلها الكثير من المسلمين الأبرياء.

٦ - العمل الدؤوب والمتواصل فى ظل أحلك الظروف وأشدها

من المؤكد أن الانتصارات وبروز القيادات فى تاريخ البشرية لا تأتى بالتمنيات والأحلام، ولكن بالعمل الصادق المتواصل على الطريق القويم، فذاك ما يصنع التحولات الكبرى فى حياة الأمة ويخرج بها من نفق اليأس والتيئيس والخذلان والتسليم.

الشيخ (رحمه الله) بكل ما يملك من ضعف جسدى، كان شعلة من النشاط الدفاق والطاقة التى لا تنضب، شغل حياته بقضية المسلمين الأولى، ترك ألقابًا أكاديمية، إذ لو أراد لكان رئيسًا للجامعة الاسلامية فى غزة، واكتفى بها كما يفعل بعض الأكاديميين الجامعيين، لم يعزل نفسه لتقدم سنه وكثرة مرضه،

---

(١) انظر: الشيخ وهو يذكر سيرة حياته، برنامج شاهد على العصر، (أبريل ١٩٩٧)، نقلاً عن موقع الجزيرة.

(٢) مقابلة مع الشيخ أحمد ياسين، مجلة القدس، ص ٣٧.

بل وظف حياته كلها مرها وحلوها لهذه القضية.

فمن إعاقة جسدية إلى التزام بعمل طلابى إسلامى سرى، إلى دارس للعلوم الشرعية ليكون مؤهلاً تربويًا للجيل القادم، إلى حركى منظم لتنظيم يتعاظم ويتصاعد، وما بين هذه المراحل كان متنقلاً من سجن لآخر، أو خاضعًا لإقامة جبرية من حين لآخر، إلى تهديد مستمر بقتله، لكن مع هذا، بقى الشيخ شعلة لا تنطفئ، عند وعده الذى يردده دائمًا أنه جندى فى العمل لهذا الدين.

٧ - الثبات على الموقف والمبدأ فى أحلك الظروف وأصعبها، ولم يتنازل عن المبادئ أو المواقف الدينية بأى حال من الأحوال:

تعرض الشيخ (رحمه الله) للكثير من الصعوبات والتضييق عليه فى نفسه وماله وولده، لكنه ظل صابرًا ومثابرًا على الحق، وبقى ثابتًا على الموقف لا يتزعزع.

كما أن الشيخ أكد على مسألة الضوابط الشرعية فى تعامله السياسى مع مفردات القضية الفلسطينية، فمسألة الهدنة والاعتراف بدولة العدو والاقتتال الداخلى وغيرها من المسائل هى فى ذاتها نُظرت من البعد الدينى والضوابط الشرعية لدى الشيخ (رحمه الله).

يقول الأستاذ أحمد بحر أحد مقربيه إن الوفد المصرى جاء إليه يحمل رسالة من اليهود والأمريكان مفادها: «إن قبلت حماس بوقف إطلاق النار، فإن «إسرائيل» ستوقف اغتيال قيادات حماس، فقال لهم على الفور: هذا مرفوض مرفوض، نحن لا نقاتل من

أجل حماية رؤوسنا، ولو كنا نريد ذلك لجلسنا في بيوتنا مع نسائنا وأطفالنا وتركنا الجهاد، نحن نقاتل من أجل عدالة قضيتنا، ولا نخاف الموت، إن قيادات حماس ليست بأفضل من أطفال فلسطين الذين يذبحون أمام سمع وبصر العالم كله»(١).

كما أن الشيخ بثباته على موقف مقاتلة العدو الصهيونى، استطاع إيجاد نوع من توازن الردع معه، فمن المهم كما يقول الشيخ: «أن يحدث فى العدو خسائر، وأن نحدث لدى العدو توازن رعب.. واستطعنا أن ننقل المعركة إلى أرض العدو - يقصد بذلك العمليات الاستشهادية - كما بشّر بذلك الرسول (ﷺ) نصرت بالرعب مسيرة شهر»(٢).

وهذا الثبات على الموقف حرى بالكثير من القيادات الإسلامية أن تطبقه فى سعيها فى حفظ العمل الإسلامى المهدد بالاستئصال.

٨ - الإرادة الصلبة والشكيمة القوية التى مثلها الشيخ:

والتى انعكست خيرًا وقوة على أبناء تنظيمه وحركته، ورفض سياسة «الأمر الواقع» أو سياسة «إنقاذ ما يمكن إنقاذه»، التى ما فتئ يرددها المهزومون والمتخاذلون من أبناء القضية، أو أصحاب

---

(١) محمد أحمد البحر، استشهاد الشيخ أحمد ياسين، نقلاً عن جريدة السبيل الأردنية، العدد (٥٣٤)، ٥ أبريل ٢٠٠٤.

(٢) مقابلة مع الشيخ أحمد ياسين، (القاهرة: مجلة القدس، العدد (٢٩)، مايو ٢٠٠١، صفر ١٤٢٢هـ)، ص ٣٥.

مشاريع التسوية والاستسلام.

الشيخ أحمد ياسين واجه بجسده النحيل أكثر جيوش الأرض بطشًا وهمجية، متسلحًا بإرادة صلبة لا عجب فيها؛ لأنه حفظ القرآن بصدره، والقرآن عزيز وكل ما فيه يدعو إلى العزة والتمرد على الواقع الهزيل، أعطى دروسًا فى حياته لكل المتخاذلين اليائسين من النصر والفرج.

كان الشيخ من موقعه المتميز بعدم القدرة على الحركة كفيلاً أن يحرّك شعبه كله، بل وأمته العربية والإسلامية، وليصدق فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ (النحل: ١٢٠)، فإذا كان الفرد المشلول قادرًا على هزيمة عجزه، ثم هزيمة عدوه، فإن الأمة كلها من باب أولى قادرة على ذلك.

لقد كان الجميل فى الشيخ وهو كثير، أنه يعتبر منظرًا للجهاد ضد الصهاينة واليهود على وجه الخصوص، علم أن دواء اليهود لا يكون إلا بالجهاد ليرحلوا عن بلاد المسلمين، إذ يقول: «العمل العسكرى هو الذى سيجبر العدو على الرحيل عن الأراضى الفلسطينية»[1].

لقد علم الشيخ أن الصراع مع العدو الصهيونى هو صراع إرادات وعزائم، ثم يأتى السلاح، الشيخ كان قاهرً للظروف ولم يكن رهنًا لها، وبهذه القاعدة والسنة الكونية، جعل الله منه آية،

---

(١) انظر: موقع إسلام أون لاين، www.Islamonline.net ، بتاريخ ٢٢ مارس ٢٠٠٤.

شيخ مسن مشلول الجسم، لكنه عملاق الروح والإرادة، من أبرز بدائع التاريخ الإسلامى والإنسانى.

ومما يحسب للشيخ أنه باستشهاده تحول إلى رمز للإرادة الحرة، وراية للجهاد والمقاومة فى ظل حالة الضعف العربى والإسلامى.

٩ - التدرج والروية فى التعامل مع العدو، واستباق ذلك برؤى ودراسات مبنية على الحكم الشرعى والبعد التاريخى والسنن الكونية.

بعدما اكتمل الجهد، واستوى الأمر على سوقه، دعا الشيخ إلى تأسيس حركته المجاهدة والمقاومة «حماس» عام ١٩٨٧م، واعتبار المقاومة المسلحة واجبًا دينيًا لتحرير الوطن وإقامة الدولة الإسلامية، لا سيما بعد تهالك القوى الفلسطينية - ذات التوجه غير الإسلامى - على الساحة الميدانية، ودخولها فى صراعات جانبية، والتغير الذى أصاب الشعوب الإسلامية نحو التحول إلى الإسلام، فكانت الاستفادة فى محلها، دخول موفق فى الصراع، وأجندة إسلامية واضحة، وقواعد مجهزة تربويًا ومحصنة شرعيًا للقتال، وهذا يذكرنا بالفهم النبوى عندما امتنع النبى (ﷺ) عن إعلان الحرب ضد قريش وهو فى مكة لمدة ثلاثة عشر عامًا، وأعلنها فى المدينة المنورة بعد تأسيس الدولة.

لقد استطاع الشيخ التركيز على دور المجتمع بدايةً، بتحصينه وتقويمه ليكون أهلاً للمعركة مع أعتى أعداء الأمة، فأقام المجمع

الإسلامى عام ١٩٧٣ فى غزة، وهو عبارة عن مسجد وحضانة ودار لحفظ القرآن ومتابعة شؤون الناس المعيشية.

فى المقابل، كان الذين يعيبون على الشيخ وحركته فى الامتناع عن قتال العدو، ومهادنة المحتل، كانوا هم أول من صافح العدو عندما تكشفت عورتهم الفكرية وأفلسوا جماهيريًا وإقليميًا، ثم تحولوا فى أعوام ما بعد اتفاق أوسلو إلى أداة أمنية فى حماية العدو المحتل، ولعل فى شهر مارس ١٩٩٦، ما يشير إلى هذا بجلاء.

لقد كانت منطلقات الشيخ حسب ما جاء فى ميثاق الحركة عام ١٩٨٨م، شيئًا يشبه الانطلاق من المقدس والقطعى من النص؛ لأنه جاء على أحكام عقائدية تربط العقيدة بالفكر والعمل، لذا جاء الميثاق ليحدد أهداف الحركة التى خُطت بدماء أبنائها وقادتها، وخير ما ورد فى هذا الميثاق أن أرض فلسطين هى وقف لكل الأجيال الإسلامية حتى يوم الحساب، فلا يمكن التفريط بأى جزء منها، كما لا تملك أى دولة أو فرد أو جماعة حق التنازل عن فلسطين، مما فوت على البعض فرصة المزايدة على الشيخ وأصحابه فى قضية الدفاع عن فلسطين والأقصى.

لقد استطاع الشيخ ومعه الثلة المؤمنة بعد جهاد المجتمع وتقويمه وتوجيهه نحو الإسلام، أن يجعل الجهاد والقتال ضد العدو هو مطلب اجتماعى بعدما كان خاصًا بالتنظيم الذى يتزعمه الشيخ، ثم أصبح مطلبًا إقليميًا ودوليًا للمسلمين فى ظل الهجمة الشرسة التى تشن على المسلمين فى ظل ما يسمى بالحرب على الإرهاب، وأصبحت ثقافة «الاستشهاد والتضحية»

ضد الاحتلال والعدوان عنوانًا للمرحلة التى عاشها الشيخ، ومن بعد مماته.

كما يؤكد الشيخ على بُعد استراتيجى فى الصراع بين الإسلام كرسالة حضارية والعدو المتمثل فى العدو اليهودى، وهو إشراك البعد العربى والإسلامى فى معركة التحرير؛ لأنها معركة الأمة، إذ يرى ضرورة إضعاف : «العدو وإرباكه، حتى تأتى المعركة النهائية، وتكون القوة العربية والإسلامية جاهزة للوقوف إلى جانب الشعب الفلسطينى، وحسم المعركة إن شاء الله»[1].

كما انفرد الشيخ فى بعض الرؤى المبنية على استنباط شرعى من النصوص القرآنية والسنن التاريخية، فقد ذكر سر عدد (٤٠) لزوال دولة العدو، إذ يقول فى ذلك: «هذا عبارة عن استلهام من آيات القرآن الكريم، واستلهام تاريخى من الواقع، الاستلهام القرآنى أن ربنا سبحانه وتعالى فى كل أربعين سنة يغير الأجيال وطبائعهم - كما فى سورة المائدة، آية (٢٦)، عندما أزال الجيل الجبان فى عهد موسى، بجيل أشجع وأقوى منه - الثانية من التاريخ، ففى الحروب الصليبية ركعت الأمة الإسلامية (٤٠) سنة، و(٤٠) سنة ثانية بدأت المقاومات والمناوشات حتى بدأ زوال الصليبية.. والفلسطينيون خسروا فى عام ١٩٤٨م، وبدأت الانتفاضة عام ١٩٨٧م، أى بعد أربعين عامًا، والأربعين الثانية ستكون زوال دولة الكيان الصهيونى»[2]، أى يتوقع الشيخ فى

---

(١) مقابلة مع الشيخ أحمد ياسين، مجلة القدس، ص ٣٦.

(٢) مقابلة مع الشيخ أحمد ياسين، مجلة القدس، ص ٣٩.

حدود مقاربة لعام ٢٠٢٧م، أن تزول دولة العدو (إن شاء الله).

١٠ - الاعتزاز الوثيق بالهوية العربية الإسلامية وبالخطاب الإيماني:

فى ظل حال الضعف العربي والإسلامى الرسمى، وتخبط بعض الحركات الإسلامية فى مشروعاتها الإصلاحية والاجتماعية، لا سيما بعد أحداث ١١ من سبتمبر، كان خطاب الشيخ يظهر فيه اعتزاز بالهوية العربية والإسلامية، مصحوبًا بنبرة خطابية إيمانية، ليدلل على أنه منظر سياسى وداعية إسلامى فى آن واحد.

لقد عارض الحلول السلمية والمؤتمرات الدولية لحل المشكلة الفلسطينية، ورأى فى الجهاد ضد الصهيونية ضرورة تحرير فلسطين، لذا استعمل الخطاب الدينى «التحريضى»، ضد اليهود، وربط ذلك بمشروع اليهود وتاريخهم الحافل بالخزايا، وزاد من ذلك، حث المسلمين على الجهاد كواجب دينى.

ومما يؤكد على ذلك اعتباره أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى يمكن الأديان الأخرى أن تتعايش بسلام فى فلسطين، كما كانت سابقًا فى ظل الخلافة الإسلامية.

فقد دعا الشيخ أكثر من مرة إلى قيام دولة إسلامية بعد زوال الاحتلال، وأن اليهود لهم الحق فى الحرية الدينية لكن تحت سلطة المسلمين، كما كان فى العصور الإسلامية السابقة، وأن الأديان لا سيما اليهودية والنصرانية عاشت فى سلام وأمن فى

ظل الدولة الإسلامية [1]، لكن مع إيمانه الكبير بإسلامية القضية، وبإنشاء دولة إسلامية، كان يحفظ لنفسه خط الرجعة حين يُسأل عن موضوع الانتخابات والخيار الديموقراطى، فكان ينزل إلى رأى الآخرين، حيث يصرح: «إذا ما أعرب الشعب الفلسطينى عن رفضه للدولة الإسلامية، فأنا أحترم وأقدس رغبته وإرادته»[2].

١١ - حنكته فى الابتعاد عن الخلافات المذهبية والحزبية والتنظيمية والقومية

فهو وإن كان يمثل حركة حماس، ذات الصبغة السنية والتوجه «الإخوانى»، إلا أنه لم يخض فى خلافات المنظرين العقائديين أو المذهبيين أو الحركيين، بل استطاع أن يتجاوز ذلك، وأن يجعل همه فى عدوه الأوحد وهو المحتل.

كما أنه لم يتعرض للمحتل؛ لأنه من الطائفة اليهودية، بل تعرض له؛ لأنه محتل ومغتصب للحقوق، ولم ينجر فى مماحكات مذهبية بين سُنة وشيعة، كما يحدث فى بعض البلدان الإسلامية، بل جعل الكل تحت لواء الإسلام، الذى يجمع ولا يفرق، وكان يمدح حزب الله الشيعى على جهاده ضد العدو الصهيونى فى لبنان، لذا لم يكن غريبًا أن يخرج شيعة العراق ولبنان لتأبينه والدعوة للثأر

---

(١) انظر وضع أهل الكتاب فى ظل الدولة الإسلامية: عماد الدين خليل، المسلم والآخر، رؤية تاريخية، (واشنطن: مجلة إسلامية المعرفة، العدد (٣٣)، صيف ٢٠٠٤، ص (٩١-١٣١).

(٢) انظر: خالد الحروب، حماس، الفكر والممارسة السياسية، ص ٢٣٤.

من أعدائه، وأن تسمى كتائب باسمه فى بلد مثل العراق لا يزال تحت الاحتلال الأمريكى.

ولم يذكر عنه (رحمه الله) أنه دخل فى مهاترات سياسية أو حركية مع الحركات الإسلامية السنية، لا سيما، والتى تشاطره العمل داخل فلسطين، وخير مثال حركة الجهاد الإسلامى، والتى تعتبر سندًا حقيقيًا للعمل الإسلامى فى فلسطين.

كما ابتعد كل البعد عن الصراعات العربية - العربية أو الصراعات الدولية، مما أكسبه مصداقية كبيرة، تجلت فى نجاح زياراته لبعض البلدان العربية والإسلامية.

بل يمكن أن يشهد للشيخ (رحمه الله) أنه كان يلعب دور المصلح بين الأطراف العربية، فقد أبدى استعداده للمساهمة فى حل مشكلة الأسرى الكويتيين فى سجون العراق، ولم ينل من الأردن لقرار طرده أعضاء المكتب السياسى، بل تناول المسألة بكل لطف وليونة مع النظام الأردنى مع أن الأمر كان شديدًا على الحركة.

١٢ - حكمته فى عدم توسيع نطاق الصراع فى ظل المعادلات الإقليمية الصعبة، وحصر ذلك فى الكيان الصهيونى فقط

لا سيما وأن الموقف الأمريكى يستدعى أن تنجر له الأسنة والبنادق لتواطؤه مع المحتل فى كل صغيرة وكبيرة، رغم ذلك كله رفض الشيخ الوقوع فى الفخ فى استهداف المصالح الأمريكية أو المواطنين الأمريكيين، وكان همه قدر الإمكان العمل على تقليل

الأعداء وتكثير الأنصار للقضية العادلة، كما أن الشيخ لم يسمح لأحد من الأطراف الفلسطينية أو الإقليمية أو الدولية بفرض إملاءات أو التزامات عليه لمواقف سياسية، بل كانت قاعدته تنطلق فى ظل الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة.

وقد استطاعت الولايات المتحدة تقديم خدمات واسعة للمشروع الصهيونى فى المنطقة، فمنذ عام (١٩٥١ حتى عام ١٩٩٨) بلغت المساعدات الأمريكية للعدو حوالى (٧١) مليار دولار(١).

يقول الشيخ فى هذا الصدد: «أنا لست فى حاجة لأن أثير نظامًا عربيًا علىّ، ولست فى حاجة لأن أثير نظامًا أوروبيًا أو شرقيًا على، أنا فى حاجة إلى مساندة كل الناس ليتعاطفوا معى، أو يقفوا على الحياد»(٢).

١٣ - شمولية العطاء وتنوعه فى فكر الشيخ

لقد برع الشيخ (رحمه الله) فى التواصل مع كافة القطاعات المهمة فى المجتمع، فمن القطاع الدينى «المساجد والمواعظ ومراكز تحفيظ للقرآن»، إلى القطاع التعليمى «المدارس والكليات والجامعات»، إلى القطاع الاقتصادى «جمعيات خيرية، ولجان زكاة، ودور للأرامل والمساكين»، إلى القطاع السياسى، «مكتب

---

(١) مقال أداء الاقتصاد الإسرائيلى (١٩٩٠ - ١٩٩٨)، نبيل السهلى، انظر: مجلة فلسطين المسلمة، العدد (١١)، سنة (١٦)، نوفمبر ١٩٩٨، ص١٨.

(٢) مقابلة مع الشيخ أحمد ياسين، مجلة القدس، ص ٣٨.

سياسى للحركة، وتوعية سياسية للمجتمع، ومتابعة كاملة لكل الأحداث والوقائع السياسية»، إلى القطاع العسكرى «من تأسيس كتائب للمقاومة والجهاد» ضد العدو، إلى غير ذلك من الأعمال المتنوعة التى عادت على المجتمع الفلسطينى بالفائدة المرجوة.

ومع هذه القطاعات المتنوعة والمختلفة، كان دور الشيخ الملهم للقائمين عليها، ولم يحصر جهده فى واحد منها، بل عمل على التكامل والتفاعل بينها وبين المجتمع.

كما برع الشيخ (رحمه الله) فى الاستفادة من قدرات وطاقات الشباب، واستطاع وهو شيخ تجاوز الستين عامًا أن يتواصل مع الشباب المتعطش للتوجيه والإرشاد، ولذا، لم يكن غريبًا أن يكتسح التيار الإسلامى العديد من الجامعات والمؤسسات التعليمية والثقافية فى فلسطين، وهذا الأمر يضاف إلى مزايا الشيخ وصفاته فى قربه من جميع فئات الشعب الفلسطينى.



حسن الختام: دلالات وعبر

لعل فى استشهاد الشيخ (رحمه الله) دلالات يلزم المرء الوقوف عندها لتدبر معانيها وفوائدها، لا سيما وأننا كمسلمين نؤمن أن الختام ونهاية الأجل لها دلالات لكل واحد منا، وبالتالى فإن استشهاد الشيخ (رحمه الله) أكد على المعنى الذى ذكره النبى (ﷺ) عندما قال: «يُبعث كل عبدٍ على ما مات عليه»[1]، ومن هذه الدلالات والعبر ما يلى:

١ - أن الشيخ كان صادقًا - نحسبه كذلك ولا نزكى على الله أحدًا - فى دعواه وطلبه للشهادة، وأن النفسية التى كان يحملها الشيخ بين جنبيه كانت شبيهة بتلك النفسية لذلكم الصحابى المشهور أبو أيوب الأنصارى الذى بلغ من العمر (٨٠) عامًا، ولم يكل أو يسترح فى طلب الجهاد، وهو ذلك النفس المبارك أيضًا الذى جعل فتيان الصحابة فى أعمار الزهور يتحمسون الخروج للجهاد وأعمارهم لا تؤهلهم لذلك، مما جعل النبى يرجعهم ويذكرهم بأنهم مثابون على نياتهم الصادقة، لذلك لم يكن غريبًا أن يقول سيد الأنام فى هؤلاء النفر من المسلمين فى كل زمان ومكان: «من خير معاش الناس لهم رجلٌ ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله، يطير على متنه كلما سمع هيعةً، أو فزعة طار عليه، يبتغى القتل والموت مظانه»[2].

---

(١) رواه مسلم، (٢٨٧٨)، نقلاً عن النووى، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، باب الحث على الازدياد من الخير فى أواخر العمر، رقم الحديث (١١٥)، (دمشق: دار الخير، ط١، ١٩٩٨)، ص٤٧.

(٢) رواه مسلم، (١٨٨٩)، نقلاً عن النووى، رياض الصالحين، كتاب الجهاد، رقم الحديث (١٢٩٩)، ص٣٠١.

ولقد سأل الشيخ الله الشهادة فى كل مرة يُهدد بالموت من قبل أعدائه، لقد قال الشيخ (رحمه الله): «كلنا طلاب شهادة، فأنا وإخوانى نسعى للشهادة، وحياتنا أرخص من حياة أى طفل فلسطينى»[1]، ولقد أعلن وزير الدفاع «الإسرائيلى» موفاز أن الشيخ أحمد يستحق الموت، ولا يدرى هذا ما معنى الشهادة التى يتمناها كل مسلم ومسلمة.

وكان لسان حال الشيخ كيف يحصل على الشهادة، وهو رجل قعيد لا يملك من أمره شيئًا، كل ما يملكه فقط النية الصادقة، فأعطاه الله ما تمناه بصدق، وهذا تصديق لقوله (ﷺ): «من سأل الله تعالى الشهادة بصدقٍ بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه»[2].

والعجيب فى تاريخنا الإسلامى، أن كل أبطال المعارك وأعظم الشهداء كانوا على أقل ما يقال فيهم، معافين فى أبدانهم أعفاء فى جوارحهم، وكانوا فى الصفوف الأولى فى القتال ومقارعة العدو، ولكن من فضل الله على عباده أن الشهادة منة وفضل لا تعطى إلا لمن يستحقها، وإن كان لا يملك تلك القوة البدنية والبسطة فى الجسم، ولعل هذا هو السر فى قوله تعالى:

---

(١) انظر: موقع إسلام أون لاين، www.Islamonline.net، تقرير محمد ياسين، بتاريخ ٢٢ مارس ٢٠٠٤.

(٢) رواه مسلم، (١٩٠٩)، نقلاً عن النووى، رياض الصالحين، كتاب الجهاد، رقم الحديث (١٣٢١)، ص٣٠٣.

﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ﴾ (آل عمران: ١٤٠).

٢ - دلالة تستحق الوقوف عندها بتمعن وروية، وهى أن استشهاده جاء بعد طاعة وعبادة، فقد أمضى ليلته معتكفًا فى مسجد المجمع الإسلامى بغزة يتعبد الله (عز وجل)، إلى صلاة الفجر، حيث أدى فرضه جماعة، وجلس يذكر الله (عز وجل)(١)، وصدق رسول الله (ﷺ) عندما قال: «من صلى الصبح فهو فى ذمة الله - أى فى حفظه - فانظر يا بن آدم، لا يطلبنك الله من ذمته بشىء»(٢).

وكما نُقل عن من لازمه فى الساعات الأخيرة، أنه جلس بعد الصلاة يذكر ربه، ويستمع لقراءة القرآن فى جلسة مع المصلين فى المسجد، أى لقى ربه، متوضئًا مصليًا، راضيًا مرضيًا، وصدق الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ (محمد: ٤-٦)، لقد استشهد فى يوم الإثنين اليوم الذى تصعد فيه الأعمال إلى بارئها، وكما قال (ﷺ): «تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس، فأحب أن يُعرض عملى وأنا صائم»(٣).

---

(١) انظر الساعات الأخيرة من حياة الشيخ، (موقع المركز الفلسطينى للإعلام، انظر: www.palestine-info.net).

(٢) رواه مسلم، (٦٥٧)، نقلاً عن رياض الصالحين، باب فضل صلاة الصبح والعصر، رقم الحديث (١٠٤٩)، ص٢٥٨.

(٣) رواه مسلم، (٢٥٦٥)، نقلاً عن النووى، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، باب استحباب صوم الإثنين والخميس، رقم الحديث (١٢٥٦)، ص٢٩٢.

إن من عاصر الشيخ فى أيامه الأخيرة، يؤكد أن الأمراض زادت عليه، وأصبح عليلاً متعبًا لدرجة أنه لا يقوى على المواصلة، فكانت نهايته بدلاً من أن تكون ميتة على الفراش، أن تسيل دماؤه على الساحة الخارجية للمسجد، على إثر الصواريخ الثلاثة.

وأننا لندعو بما دعا به العلامة يوسف القرضاوى: «.. وإنا لنتمنى وندعو ربنا أن يختم لنا بما ختمه لأحمد ياسين»[1].

لقد استحق الشيخ لقب «الشهيد المنتصر»، نال الشهادة، وطار ذكره فى الآفاق فى عزة وكرامة، وأبى إلا أن يعيش مجاهدًا، أسدًا يقود إلى الجهاد أسودًا

٢ - ستكون دماء الشيخ لعنة على اليهود، ونذيرًا بقدوم أجلهم ونهاية غطرستهم، فقد تكفل الله فى الحديث القدسى بأن «من عادى لى وليًا فقد آذنته بالحرب»[2]، والشيخ أحمد ياسين وُضع له القبول فى الأرض، فالملايين المسلمة وغير المسلمة الكارهة للظلم والقهر التى خرجت تنادى بالثأر له ولدمائه، لهى خير علامة على ذلك، وعلى قربه من ربه، إذ يقول (ﷺ): «إذا أحب الله تعالى العبد، نادى جبريل: إن الله تعالى يحب فلانًا، فأحببهُ، فيحبه جبريل، فينادى فى أهل السماء: إن الله يحب فلانًا،

---

(١) يوسف القرضاوى، دم الشيخ ياسين لن يذهب هدرًا بل سيكون نارًا ولعنة على "إسرائيل" وحلفائها، نقلاً عن المركز الفلسطينى للإعلام، انظر (www.palestine-info.net).

(٢) رواه البخارى، (٦٥٠٢)، نقلاً عن النووى، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، باب علامات حب الله تعالى للعبد، رقم الحديث (٣٨٦)، ص١١٦.

فأحبوهُ، فيحبهُ أهل السماء، ثم يوضع له القبول فى الأرض»[1].

إن العدو اليهودى بفعلته هذه قد أقر بقرب ساعته ونهاية دولته القائمة على الظلم والبغى، ولعل سجل حكومة مجرم الحرب «إرييل شارون»[2] ما هو إلا إرهاص لدنو ذلك (إن شاء الله).

لقد أحب الناس الشيخ لاعتباره رمزًا إسلاميًا، كره الظلم والطغيان، وتسلط العباد على العباد، عاش صابرًا ومتنقلاً بين سجون الاحتلال، ومحتسبًا من ظلم ذوى القربى، ولعل فى خروج الملايين لموته دليلاً على ذلك، والله أعلم.

ومما ذكر فى حق الشيخ (رحمه الله)، ما فاض به شعر الدكتور جابر قميحة[3]:

قمْ عطر الفجر بالإسرا وياسينا

ورتل الفتح والأنفالَ والتينا

(١) رواه البخارى، (٣٢٠٩)، ومسلم (٢٦٣٧)، نقلاً عن النووى، رياض الصالحين، باب علامات حب الله تعالى للعبد، رقم الحديث (٣٨٧)، ص١١٦.

(٢) لمزيد من التعرف على شخصية رئيس وزراء العدو، الدموية والإجرامية، وصاحب المجازر المتعددة ضد الفلسطينيين والعرب، انظر: إرييل شارون، سجل خدمة وعمليات انتقامية، تحرير: فداء طه، (عمان: دار الجليل للنشر، ط١، ٢٠٠١).

(٣) انظر: مجلة القدس، (القاهرة: العدد (٣٢)، اغسطس ٢٠٠١، جمادى الأولى ١٤٢٢هـ)، ص ٩٢.

وعانق الفجرَ فى شوقٍ وفى لهفٍ

واكتبْ على الشفقِ الوردىِّ ياسينا

واجعلْ مدادك من ماءِ القلوبِ وصُغْ

حروف ياسين ريحانا ويسمينا

وأطّر اللوحة الشمّاء من مُهج

تزينها، وبنورٍ من مآقينا

وقد قال فى رثائه الكثير من الشعراء المعاصرين، منهم على سبيل المثال، وليس الحصر الدكتور عبد الرحمن العشماوى، فى قصيدته المعروفة بـ «أكسبوك من السباق رهانًا»، إذ يقول فى بعض أبياته(١):

أكسبوكَ من السّباقِ رهانا

فربحتَ أنتَ وأدركوا الخسرانا

هم أوصلوك إلى مُنَاكَ بغدرهم

فأذقتهم فوق الهوانِ هَوانا

إنى لأرجو أن تكون بنارهم

لما رموك بها، بلغتَ جِنانا

(١) (نقلاً عن موقع المركز الفلسطينى للإعلام، انظر: www.palestine-info.net).

أهل الإساءة هم، ولكن ما دروا

كم قدموا لشموخك الإحسانا

لقب الشهادةِ مَطمَحٌ لم تدخر

وُسعًا لتحمله فكنتَ وكانا

يا أحمدُ الياسين، كنتَ مفوّهًا

بالصمت، كان الصّمْتُ منكَ بيانا

يا أحمدُ الياسين، إن ودّعتنا

فلقد تركتَ الصدق والإيمانا

أنا إنْ بكيتُ فإنما أبكي

على مليارنا لمّا غدوا قطعانا

ستظلُّ نجمًا في سماءِ جهادنا

يا مُقعَدًا جعل العدوَّ جبانا

الخاتمــة

بعد هذا العرض الذى نحسب أنه تناول جزءًا مهمًا من حياة قائد إسلامى ومؤسس لحركة مجاهدة فى عصرنا الحاضر، نقف الآن لنختم دراستنا هذه ببعض الملاحظات الختامية، من أهمها:

١ - إن الشيخ أحمد ياسين يعتبر نقطة مهمة فى تاريخ الصراع العربى - الإسرائيلى - وبأكثر دقة وتحديد - أنه محور أساس فى تاريخية الصراع الحضارى بين المسلمين والأعداء، ولا أظن أن هناك من هو أشد عداوة من اليهود.

٢ - لقد تجاوز الشيخ كل المعوقات الجسدية والمادية فى سبيل تحرير نفسه وأرضه وشعبه وأمته من الهوان والضعف الذى تحياه فى مجالات الحياة المختلفة.

٣ - من أبرز ملامح التجديد فى منهج الشيخ وطريقته، جهده الواضح فى أسلمة الصراع مع العدو اليهودى، وتوضيح طبيعة المعركة فى أنها معركة بين أمة ذات تاريخ وحضارة، ومجموعة من البشر «مغضوب عليهم»، تدعمهم القوى الاستعمارية الكبرى.

٤ - لعل العمل المؤسسى والشورى من أبرز تجليات شيخنا الشهيد، وهذا مشاهد فى المؤسسات الإسلامية المنتشرة فى ربوع فلسطين المحتلة.

٥ - روح الإرادة والعزم المتمثل فى شيخ مقعد أثار وحفز همم الكثيرين من أبناء الأمة الإسلامية، فإذا كان المقعد المشلول كبير السن فى هذه الروح، فما هو دور الكثرة من أبناء الأمة الأصحاء.

٦ - هناك دلالات وعبر تشير بقوة وجلاء على حسن خاتمة الشيخ، وهذا تجلية ووضوح على مدى القبول الذى رزقه، هذا ما نحسبه ولا نزكى على الله أحدًا.

المصادر والمراجع

أولا - الكتب العربية:

- أبو داود الأزدى، سنن أبى داود، (بيروت: دار الحديث، ط١، ١٩٧٣).
- الحاكم النيسابورى، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: يوسف المرعشلى، (بيروت: دار المعرفة، .ط.ت).
- النووى، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، (دمشق: دار الخير، ط١، ١٩٩٨).
- ابن حجر العسقلانى، فتح البارى بشرح صحيح البخارى، (القاهرة: دار الحديث، ط٣، ١٤٠٧هـ).
- ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: مجموعة من المحققين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣، ١٩٨٧).
- عبد الوهاب أبو سليمان، منهجية الشافعى فى الفقه وأصوله، (بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٩).
- محسن عبد الحميد: تجديد الفكر الإسلامى، (دار الصحوة للنشر).
- مجموعة من الباحثين، خبرات الحركة السياسية الفلسطينية فى القرن العشرين، (غزة: المركز القومى للدراسات والتوثيق، ط١، ٢٠٠٠).

- فيصل الحورانى، الفكر السياسى الفلسطينى ١٩٦٤ – ١٩٧٤، ط١، (بيروت: مركز الأبحاث، ١٩٨٠).
- سعيد الحسن، غزة وأريحا أولاً، وثائق ودراسات، (عمان: دار الشروق، الإصدار الثانى، ١٩٩٥).
- محسن صالح، دراسات منهجية فى القضية الفلسطينية، (كوالالمبور، دار الفجر للنشر، ط١، ٢٠٠٣).
- مهيب النواتى، حماس من الداخل، (غزة: دار الشروق، ط١، ٢٠٠٢).
- خالد الحروب، حماس، الفكر والممارسة السياسية، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط٢، ١٩٩٧).
- عبد الوهاب المسيرى، الصهيونية والعنف من بُداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى، (القاهرة: دار الشروق، ط١، ٢٠٠١).
- إرييل شارون، سجل خدمة وعمليات انتقامية، تحرير: فداء طه، (عمان: دار الجليل للنشر، ط١، ٢٠٠١).
- ميثاق حركة حماس، الصادر فى ١٨ من أغسطس ١٩٨٩، (لا ناشر ولا مكان للنشر).

ثانيًا - الدوريات والمجلات:

- عماد الدين خليل، المسلم والآخر، رؤية تاريخية، (واشنطن: مجلة إسلامية المعرفة، العدد (٣٣)، صيف ٢٠٠٤).
- جريدة السبيل الأردنية، العدد (٥٣٤)، ٥ من أبريل ٢٠٠٤م.
- مقابلة مع الشيخ أحمد ياسين، (القاهرة: مجلة القدس، العدد (٢٩)، مايو ٢٠٠١، صفر ١٤٢٢هـ).
- محمد أحمد البحر، استشهاد الشيخ أحمد ياسين، انظر: جريدة السبيل الأردنية، العدد (٥٣٤)، ٥ من أبريل ٢٠٠٤.
- مجلة القدس، (القاهرة: العدد (٣٢)، أغسطس ٢٠٠١، جمادى الأولى ١٤٢٢هـ).
- أحمد الجلاهمة، رجل تعدت حكمته حدود جسده، صحيفة الوطن السعودية، ٢٨ من مارس ٢٠٠٤م.
- مجلة فلسطين المسلمة، عدد (٨)، السنة (١٧)، أغسطس ١٩٩٩م.
- مجلة فلسطين المسلمة، عدد (١٢)، السنة (١٧)، ديسمبر ١٩٩٩م.
- نبيل السهلى، الاقتصاد الإسرائيلى (١٩٩٠ - ١٩٩٨)، مجلة فلسطين المسلمة، العدد (١١)، سنة (١٦)، نوفمبر ١٩٩٨م.

ثالثا - مواقع على شبكة الإنترنت:

- الشيخ أحمد ياسين وهو يذكر سيرة حياته، برنامج شاهد على العصر، (أبريل ١٩٩٧)، نقلاً عن موقع الجزيرة، www.aljazeera.net
- موقع المركز الإعلامي الفلسطيني، http:// www.palestine-info.net
- موقع إسلام أون لاين، www.Islamonline.net، بتاريخ ٢٢ من مارس ٢٠٠٤م.
- عاطف عدوان، الشيخ أحمد ياسين، حياته وجهاده، (نقلاً عن موقع المركز الفلسطيني للإعلام، http://www.palestine-info.net)
- موقع إسلام أون لاين، www.Islamonline.net ، بتاريخ ٢٥ من مارس ٢٠٠٤م.
- يوسف القرضاوي، دم الشيخ ياسين لن يذهب هدرًا، بل سيكون نارًا ولعنة على «إسرائيل» وحلفائها، نقلاً عن المركز الفلسطيني للإعلام، http://www.palestine-info.net

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
● مقدمة الناشر	٣
● مقدمة الكتاب	٥
● توطئة: في مفهوم (التجديد في الدين)	٩
● المبحث الأول: مولد الشيخ ونشأته وأخلاقه وصفاته	١٧
● المبحث الثاني: الملامح الفكرية والقيادية لمنهجه في التغيير والإصلاح	٣٧
● حسن الختام: دلالاتٌ وعبر	٦٣
● الخاتمة	٧٣
● المصادر والمراجع	٧٥
● محتويات الكتاب	٧٩

صدر من هذه السلسلة

(١) الإخوان المسلمون والقضية الفلسطينية

(٢) مصطفى مشهور والقضية الفلسطينية

(٣) الشيخ أحمد ياسين.. مجددًا

تحت الطبع

د. عبد العزيز الرنتيسى.. قائدًا ومجاهدًا وأديبًا



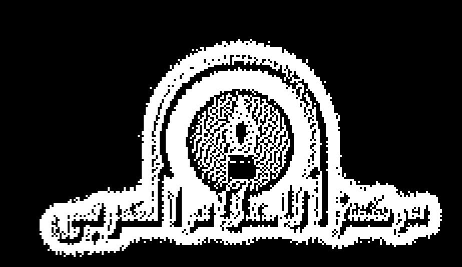
هذا الكتاب

مثّل الشيخ أحمد ياسين (1938 - 2004م) بلا شك مرحلة مهمة فى الصراع العربى - الإسرائيلى، وحلقة ضرورية فى خط مساره على تعبير الكثير من المحللين السياسيين والمؤرخين لهذا الصراع منذ نشأته عام 1948م.

فالشيخ المقعد يعتبر مؤسساً لأكبر تيار إسلامى فى فلسطين المحتلة، وحركته تمثل أكبر فصيل معارض للسلطة الفلسطينية المنبثقة عن اتفاقية أوسلو (1993م) بين العدو الإسرائيلى ومنظمة التحرير الفلسطينية، وحياته حافلة بالكثير من الإنجازات والمكتسبات السياسية من خلال منهج ارتضاه فى تعامله مع أبناء وطنه، ومع عدوه الغاصب.

استطاع الشيخ خلال حياته تأكيد منهجه الإصلاحى والتغييرى القائم على الموازنة بين متطلبات المرحلة - أى مرحلة الاحتلال - وتعزيز الإسلام فى المجتمع الفلسطينى، وهذا لم يكن لولا جودة المنهج الذى التزمه الشيخ طيلة حياته.

فى هذه الدراسة، نحاول تجلية أبرز الإضاءات الفكرية والقيادية لهذا الشيخ المجدد، فقد كان شعلة فى العمل، وطاقة فى الحركة، ومنهجية فى الطرح، وثقة بالله تعالى قلّ لها نظير.



تطلب من: مركز الإعلام العربى
ص ب: 93 الهرم - الجيزة - مصر ت: 202/3833361 - 202/3844422 ف: 202/3851751